سلسلة رؤوس

المحبة
أساس البنيان

مطرانية الأقباط الأرثوذكس

بالفيوم

دراسات وتأملات روحية

(6)

المحبة أساس البنيان

إعداد

نيافة الحبر الجليل

الأنبا ابرآم

أسقف الفيوم

المقدمة

في حديث الرب يسوع عن المحبة، جاء في الموعظة على الجبل:" سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ والصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت5 : 44 -48).

كما قدم لنا السيد المسيح عدة نمازج عملية تبين محبته العظيمة لأولاده، فيقول القديس يوحنا فى إنجيله:" وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ"(يو11: 5). وعندما أرسلت الأختان إلى السيد المسيح قالتا:« يَا سَيِّدُ هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ»"(يو11 :3). كما شهد السيد المسيح نفسه وقال لتلاميذه:« لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لَكِنِّي أَذْهَبُ لِأُوقِظَهُ»(يو11:11).كذلك شهد اليهود أنفسهم قائلين:«أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ»(يو11 :36).

كذلك يقول الإنجيل عن القديس يوحنا الحبيب:" وَكَانَ مُتَّكِئاً فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ" (يو13 :23). ويقول أيضاً:" فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفاً قَالَ لِأُمِّهِ: «يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكِ»" (يو19 :26).

هذا الكتاب هو مجموعة دراسات تأملية عن فضيلة المحبة كأساس لبنيان الحياة الروحية، وهى ضمن مجموعة محاضرات، القاها أبينا الحبيب نيافة الحبر الجليل الأنبا أبرآم أسقف الفيوم، ورئيس دير الملاك غبريال بجبل النقلون، فى الاجتماع العام الأسبوعى، وبعض النهضات الروحية. وهو ينشر ضمن مجموعات كتابات، تقوم لجنة النشر بمطرانية الفيوم – من الآباء الكهنة والشمامسة والمكرسات والاخوات – بتفريغ هذه المحاضرات، وإعداد المادة العلمية للنشر، لكى يكون هناك استفادة من هذه المحاضرات القيمة، وذلك بمناسبة احتفال إيبارشية الفيوم باليوبيل الفضى لسيامة أبينا نيافة الحبر الجليل الأنبا ابرآم أسقفاً لإيبارشية الفيوم (2 يونيه 1985 – 2 يونيه 2010م) طالبين من الرب أن يمنح نيافته موفور الصحة والقوة والنعمة فى خدمته المباركة. كما تشكر لجنة النشر كل من شارك فى إعداد هذا العمل، طالبين من الرب أن يعوض الجميع أجراً سمائياً.

لجنة النشر

الفصل الأول

مفهوم كلمة المحبة

توجد عدة ترجمات لمفهوم ومعنى كلمة المحبة، فنثلاً كلمة "محبة" في اللغة اليونانية التي كُتب بها العهد الجديد وهي :" Agape – ⲁⲅⲁⲡⲏ - ἀγάπη " وهذا المعنى في اللغة اليونانية وجدت فقط في الأدب الديني وهي مرتبطة بنشأة المسيحية الأولي. ومعنى أن الكلمة مرتبطة بالمسيحية أى مرتبطة بالمسيح بمعنٍ خاص فالمسيحية جاءت بمعنٍ خاص ومنفرد للمحبة ومن أجل ذلك جاءت بكلمة جديدة أيضاً. ولكى نتعرف علي معناها علينا أن نتعرف علي معنى المحبة في نظر السيد المسيح من خلال كلماته .

إن الجزء الرئيسي في حديث الرب عن المحبة قد جاء في الموعظة على الجبل فقد قال السيد المسيح "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ والصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ

إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت5 : 44 -48).

لذلك نرى في الآيات السابقة أن المحبة في المسيحية مصدرها هو الله نفسه كلى المحبة. لذا كان المعنى المسيحي للمحبة (أغابي) هو عمل الخير للجميع بدون تمييز. المحبة هي عدم طلب أي شئ مقابل المحبة. فالمحبة عمل الصلاح للجميع، ولا يهم كيف يعاملنا الآخرون، ولا يهم من هم الناس، ولا كيف يقابلون هذه المحبة.

إن المحبة في المسيحية هي من ثمار الروح القدس، لذا يأخذها كل مؤمن وقت عماده ومسحه بالروح القدس. تلك المسحة التي تعلمنا كل شئ، تعلمنا معنى المحبة وكيف نحب؟. إنها تملأ قلبنا من المحبة المسيحية الحقة، فعلى الإنسان إن يحافظ على استمرار عمل الروح القدس الذي وُهب له وقت العماد حتى لا يفقد ثمرته. فقد كتب الرسول بولس:" مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رو 5 : 5) .

المحبة المسيحية تتبين وتظهر خلال محبة المسيح التى قُدمت لنا من خلال آلامه، فهي محبة نستقى منها محبتنا لله نفسه وللبشر

أجمعين. إن تلك الآلام لم تكن لأجل فئة معينة بل للعالم أجمع كما قال السيد المسيح بفمه المبارك:" لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو3 : 16).

المحبة المسيحية ماهى إلا حضور الرب يسوع في قلب المؤمن لأن يسوع وحده هو المحبة. فإن لم يكن السيد المسيح هومصدر هذه المحبة وإن لم يكن الروح القدس هو ينبوعها فهي محبة ذاتية أرضية غير مرضية أمام الآب السماوى مهما كانت صورها الخُلقية غاية في الرقى والإنسانية. فمحبة المسيح هي النموذج والمثال لعلاقات المسيحيين بعضهم مع بعض، ومع كافة البشر جميعاً. لذلك نقول أن محبة المسيح هى الضابطة لحياة المسيحيين "لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا" (2كو5: 14). فالإنسان المسيحي يكون مدفوعاً لعمل الخير ليس بسبب الخوف بل بإلتزام المحبة.

إن المحبة المسيحية هي أعظم الفضائل كما قال الرسول بولس "أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ الإِيمَانُ وَ الرَّجَاءُ وَ الْمَحَبَّةُ هَذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ"(1كو13 :13). ومن خلالها نتمم كل الفضائل والوصايا والناموس. فقد قال السيد المسيح عن وصية المحبة:" لله وللقريب بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ" (مت 22 : 40).

المحبة في المسيحية هي رباط الكمال هي غاية المسيح وغاية المسيحية وغاية الوصية "وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ رِيَاءٍ" (1تي 1 : 5).

المحبة هي مناخ الحياة المسيحية، بل هى الباعث الشامل لكل الحياة المسيحية، وهى سر الوحدة المسيحية، وهى إعلان للحق المسيحى، والباعث والمحرك للتعليم والوعظ لكل خدمة وعمل داخل أو خارج الكنيسة. كما أن المحبة هي ضابط للحرية المسيحية، فحريتنا المسيحية نستقيها من المحبة كما قال القديس بولس:" **لِذَلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْثِرُ أَخِي فَلَنْ آكُلَ لَحْماًإِلَى الأَبَدِ لِئَلاَّ أُعْثِرَ أَخِي**" (1كو 8 : 13).

إن معنى المحبة في المسيحية تختلف عن معنى المحبة عند الفلاسفة أو عند أصحاب الديانات الأخرى. فالمحبة في المسيحية مصدرها الله ومحبته للبشرية ...المحبة في المسيحية لا تميز ولا تُفرق بين البشر ...لا تُفرق بين عدو وصديق، ولا بين قريب وبعيد، ولا بين مسيحي وغير مسيحي... ولا بين أبيض وأسود، أو رجل وأمرأة. فالمحبة في المسيحية لا تعتمد علي العوامل الخارجية بل تعتمد علي القلب، تعتمد علي الروح القدس الذي بداخلنا، وعلى عمل الله لنا. يقول السيد المسيح:" وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاًيُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ ... بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ

وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاًفَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماًوَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ" (لو 6 : 32، 35).

المحبة في المسيحية تصل إلي حد البذل والعطاء دون مقابل "**وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً**" (لو 6 : 35). كما تصل إلي حد الآلم، إلى حد الاستشهاد من أجل من نحب دون النظر إلى مقابل نأخذه. فالمحبة هى عطاء دون آخذ.

❖ المعنى العام لكلمة المحبة

يوجد أيضاً كلمة ثانية للمحبة وهي " Phillia – φιλια - ♋)(●)(♐" مثلما نقول "فيلوباتير" بمعني "محب أبيه" أو نقول:" فيلو سوفيا" بمعني:" محب الحكمة" ومنها أُخذت كلمة "فلسفة". وهذه الكلمة هي أعلى كلمة تعبر عن الألفة والصداقة في اللغة اليونانية. وهى أيضاً تعبر عن العلاقات الزوجية كما تعبر عن العلاقات الروحية والعقلية، فهي تشمل النواحي الجسدية أيضاً للمحبة. لكن هذه المحبة وقتية لأنها تعتمد علي الحواس فالجمال والجسد والمال حتي والصداقة غالباً لا تدوم، فهي متغيرة، وهذا عكس المحبة المسيحية التي هي قوية كالموت مياه كثيرة لا يمكن أن تطفئها .

❖ المعنى الأسرى لكلمة المحبة:

يوجد أيضاً معنى ثالث في اللغة اليونانية للمحبة وهو " storge " وهي تعبر في الأدب اليوناني عن الحب الأسري الذي يتمثل في محبة الوالدين لأبنائهم، وحبة الأولاد لوالديهم، ومحبة الإخوة لإخوتهم . ومحبة العائلة والعشيرة والقبيلة كل منها للأخرى.

❖ المعنى الرابع للمحبة هو " Eros ":

هي تفيد الحب الجنسي بين الرجل والمرأة وتعبر عن الجانب الجسدي للمحبة بين كليهما. هذه الكلمة لم تظهر في العهد الجديد قط ..ليس لأن العهد الجديد يرفض أو يحتقر الحب الجسدي ..ولكن لأنه في العهد الجديد يرتبط هذا الحب الجسدي بالشهوة ولا يُطلق عليه حب بل شهوة. لذلك فأن كلمة "eroc" لا تفيد المحبة. هذا النوع هو الحب الجسدي، الحب الذاتي المتمركز حول الأنا، هو عشق للذات. لذلك فأن هذا النوع من

الفصل الثانى

وصية المحبة فى الكتاب المقدس

وصية المحبة قديمة منذ خلق الإنسان لأن الله محبة وليس عنده تغيير ولا ظل يدور. فهو محبة منذ الأزل وإلى الأبد. لذا نجد وصية المحبة لله وللقريب كانت هي أول الوصايا في الوصايا العشرة. كما كانت هي الوصية الأولى التي قال عنها السيد المسيح، والقديس بولس الرسول صنفها بأعظم الفضائل. وكان تركيز القديس يوحنا الحبيب في إنجيله كما في رسائله كان تركيزه على وصية المحبة فدعونا نتأمل ولو قليلاً في وصية المحبة :

i. وصية المحبة فى الكتاب المقدس

أولاً : وصية المحبة في العهد القديم

- " لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ" (لا19 :18).

- " كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (لا19 :34).
- " فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ" (تث6 :5).
- "الصَّانِعُ حَقَّ اليَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ وَالمُحِبُّ الغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَاماًوَلِبَاساً" (تث10 :18) .
- " فَأَحِبُّوا الغَرِيبَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ" (تث10: 19).
- " فَأَحْبِبِ الرَّبَّ إِلهَكَ وَاحْفَظْ حُقُوقَهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ وَوَصَايَاهُ كُل الأَيَّامِ" (تث11 : 1).
- " فَإِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَايَ التِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا اليَوْمَ لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَتَعْبُدُوهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ" (تث11 : 13).
- "لأَنَّهُ إِذَا حَفِظْتُمْ جَمِيعَ هَذِهِ الوَصَايَا التِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا لِتَعْمَلُوهَا لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَتَسْلُكُوا فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ وَتَلتَصِقُوا بِهِ" (تث11 :22).
- "بِمَا أَنِّي أَوْصَيْتُكَ اليَوْمَ أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِتَحْيَا وَتَنْمُوَ وَيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي الأَرْضِ التِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا" (تث30 : 16) .

- "إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ لأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ وَالذِي يُطِيلُ أَيَّامَكَ لِتَسْكُنَ عَلى الأَرْضِ التِي حَلفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا" (تث 30 : 20).
- "فَاحْتَفِظُوا جِدّاً لأَنْفُسِكُمْ أَنْ تُحِبُّوا الرَّبَّ إِلَهَكُمْ" (يش23 :11)
- "هَكَذَا يَبِيدُ جَمِيعُ أَعْدَائِكَ يَارَبُّ. وَأَحِبَّاؤُهُ كَخُرُوجِ الشَّمْسِ فِي جَبَرُوتِهَا». وَاسْتَرَاحَتِ الأَرْضُ أَرْبَعِينَ سَنَةً" (قض5 : 31).
- "لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ" (لا19 :18).
- "كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (لا19 :34).
- " فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ" (تث6 :5).
- " فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلا أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طُرُقِهِ وَتُحِبَّهُ وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفسِكَ" (تث10 :12) .

ثانياً : في الأناجيل الأربعة

- " أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت19:19).
- فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ" (مت22 :37).

- " وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت22 :39).
- " وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً" (يو13 :34).
- " هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ" (يو15 :12).
- "بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضاً لِبَعْضٍ" (يو13 :35).
- "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مت5 :44) ، (لو6 :27).
- "وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ!" (لو11 :42) .
- "بِهَذَا أُوصِيكُمْ حَتَّى تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً" (يو15 :17).
- "لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ بَلْ أَعْطُوا مَكَاناً لِلْغَضَبِ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ" (رو12 :19) .
- "لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ" (رو13 :8).
- "لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟" (مت5 : 46).

- "وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ!" (لو11 : 42) .

ثالثاً : وصية المحبة فى الرسائل

- " لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ" (1كو16 :14).
- "وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ" (رو12 :10) .
- "اِتْبَعُوا الْمَحَبَّةَ وَلَكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ وَبِالأَوْلَى أَنْ تَتَنَبَّأُوا"(1كو14 :1).
- "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَ اتْبَعِ الْبِرَّ وَ الإِيمَانَ وَ الْمَحَبَّةَ وَ السَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ" (2تي2 : 22) .
- "وَأَمَّا انْتَ يَا انْسَانَ اللهِ فَاهْرُبْ مِنْ هَذَا، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالصَّبْرَ وَالْوَدَاعَةَ" (1تي 6 :11) .
- "لاَ يَسْتَهِنْ احَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ" (1تي4 : 12) .
- "تَمَسَّكْ بِصُورَةِ الْكَلاَمِ الصَّحِيحِ الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنِّي، فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (2تي 1 : 13) .

- " أَنْ يَكُونَ الأَشْيَاخُ صَاحِينَ، ذَوِي وَقَارٍ، مُتَعَقِّلِينَ، أَصِحَّاءَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ" (تي2 : 2) .

"وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ" (عب10 :24) .

"لِتَثْبُتِ الْمَحَبَّةُ الأَخَوِيَّةُ" (عب13 :1) .

- "وَالنِّهَايَةُ، كُونُوا جَمِيعاً مُتَّحِدِي الرَّأْيِ بِحِسٍّ وَاحِدٍ، ذَوِي مَحَبَّةٍ أَخَوِيَّةٍ، مُشْفِقِينَ، لُطَفَاءَ " (1بط3 :8) .
- "وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا" (1بط 4 : 8) .
- "وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً" (2بط1 :7).
- "وَاحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللهِ، مُنْتَظِرِينَ رَحْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (يه1 :21) .
- "سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةِ الْمَحَبَّةِ. سَلاَمٌ لَكُمْ جَمِيعِكُمُ الَّذِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. آمِينَ" (1بط5 :14) .
- "بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ" (اف4 :2) .
- "أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ. أَحِبُّوا الإِخْوَةَ. خَافُوا اللهَ. أَكْرِمُوا الْمَلِكَ" (1بط2 :17) .

- "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً" (1يو4 :11) .

ii. مصدر المحبة هو الله نفسه.

المحبة مصدرها الله نفسه. فكل عطية وموهبة هى من الآب فى السيد المسيح بالروح القدس. فالمحبة نأخذها من مصدرها وهو الله المحبة، وتنمو فى داخلنا بالتوبة، ومغفرة الله لنا، وتصالحه معنا .

المحبة وفعل الروح القدس

الكتاب المقدس أوضح في أكثر من موقع من أسفار الكتاب المقدس أن الله محبة من خلال الآيات والأفعال. بل كل ما حولنا من طبيعة ونباتات وحيوانات توضح محبة الله بل وتعاملات الله معنا كل يوم ستره علينا، وحفظه لنا وتسامحه معنا والكثير من الأدلة الأخرى التي تثبت أن الله محبة. والروح القدس يسكب المحبة داخل النفس، وهذا ما يتضح من قول الكتاب:" لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رو5:5).

كذلك نرى المحبة هي أول ثمار الروح كما قال القديس بولس الرسول:" وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ" (غل5 :22). كما قال أيضاً لكنيسة كولوسى:" الَّذِي اخْبَرَنَا ايْضاً بِمَحَبَّتِكُمْ فِي الرُّوحِ"

(كو1 :8). فالروح القدس هو مصدر المحبة لأنه هو الذي يعلمنا إياها ويرشدنا إليها ونأخذها منه من في سر المعمودية والمسحة المقدسة، لذا ارتبطت المسيحية بالمحبة.

حياة وتعاليم السيد المسيح عن المحبة

محبة المسيح لنا هي أهم المصادر التي نستقي منها محبتنا لله ومحبتنا للقريب. فالكتاب المقدس يقول علي لسان القديس بولس الرسول:" وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا" (اف5 :2). ويقول القديس يوحنا:" فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (1يو4 :10). كذلك يقول:" أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً" (1يو4 :11). وأيضاً:" نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً" (1يو4 :19).

فمن الآيات السابقة يتضح أن محبة المسيح هي مصدر محبتنا وعلة لها. فالإنسان عندما يفكر في آلام المسيح وكيف تحمل الصلب والمسامير والجلد والتعيير والاستهزاء حباً به سوف يكون ذلك مصدراً كبيراً يدفعه إلي محبة الله.

كذلك أي إنسان يتأمل في تسامح السيد المسيح مع صالبيه وكلمته الشهيرة رغم الألام الجسدية والنفسية وهو علي عود الصليب

"فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»" (لو23 :34). سيكون له ذلك مصدراً من مصادر المحبة للقريب والبعيد للأعداء قبل الأصدقاء. حقاً قال القديس بولس الرسول:" لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا" (2كو5 :14). فكل تعاليم وأحداث الكتاب المقدس تنصب في المحبة، محبة الله للإنسان ومحبة الإنسان لله ولقريبه الإنسان.

هناك كثير من الوصايا والتعاليم الكثيرة في العهدين تحث على هذه المحبة لذا فإن تعاليم الله في الكتاب هي من أهم المصادر للمحبة لذا نجد القديس بولس يقول:" وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الأَخَوِيَّةُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مُتَعَلِّمُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً" (1تس4 :9). وفي مكان آخر يقول الكتاب "وَالرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ وَإِلَى صَبْرِ الْمَسِيحِ" (2تس3 :5). كذلك يقول:" لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَ الْمَحَبَّةِ وَ النُّصْحِ"(2تي1 :7).

كما يقول القديس يوحنا الحبيب:" أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ" (1يو4 :7). إن الحب يزيد من الارتباط بالله الذى يدفعنا لحياة الحب القوية حتى نصل إلي قمة المحبة الحقيقية التى لا تسقط أبداً حتى في الأبدية.

المحبة ومغفرة الله لنا

من أهم المصادر الشخصية التي تؤثر فينا وتحثنا علي محبة الله والقريب، مغفرة لله الشخصية لنا على مر حياتنا التى نحياها على الأرض. فالإنسان عندما يتأمل ويفكر كم مرة اعترف وقدم توبة، وكم مرة غفر له الله وقبله وأعطاه جسده ودمه. فى ذلك نتذكر ماذا كان شعور الابن الضال عندما غفر له أبوه وقبله؟ هذا الذى كان لا يتعشم في أكثر من أن يكون أجيراً، فوجد أبيه في استقباله مجهزاً له له العجل المثمن والحلة الأولي وخاتمه الخاص. كم من الحب يمكن أن يحب ذلك الابن أبيه مقابل محبة أبيه وغفرانه له وقبوله إياه.

إن السيد المسيح عندما دافع عن المرأة الخاطئة في بيت سمعان بعد أن سأل سمعان عن أمر المديونين وأيهما يكون أكثر حباً لسيده، أوضح بعد ذلك قائلاً:" وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً" (لو7 :47). لقد ربط المحبة بمغفرة الخطية قائلاً:" مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً" (لو7 :47). فمحبة الله ومحبتنا لله، تجعله يغفر لنا الخطايا. كما أن مغفرة الله لنا تزيدنا حباً به وله.

إن مغفرة الله لنا يجب أن تكون مصدراً أساسياً لمحبتنا لكل إنسان. فكما غفر لنا المسيح يجب أن نغفر لمن يسئ إلينا. ليس كما فعل

ذلك العبد الذي ترك له سيده الدين الكبير ولم يترك هو للعبد شريكه الدين الصغير فوبخه السيد المسيح:" فَدَعَاهُ حِينَئِذٍ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ كُلُّ ذَلِكَ الدَّيْنِ تَرَكْتُهُ لَكَ لأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ، أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضاً تَرْحَمُ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟" (مت18 :32، 33). ونحن نصلى في الصلاة الربانية التي علمنا إياها رب المجد يسوع:" وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا" (مت6 :12).

كما أن هناك علاقه وثيقة بين محبتنا ومغفرتنا لقريبنا الإنسان وبين مغفرة ومحبة الله لنا. فمحبتنا ومغفرتنا تؤهلنا محبة الله ومغفرته لنا. كما أن محبة الله لنا ومغفرته لنا يجب أن تؤدي إلي محبتنا نحن لقريبنا ومغفرتنا له. وبالطبع أن محبة الله ومغفرته لنا قبل كل ذلك تؤدي إلي محبتنا لله. وقد أكد السيد المسيح هذه العلاقة الوثيقة عندما علمنا بفمه الطاهر "وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلاَّتِكُمْ" (مر11 :25). "اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ" (لو6 :37).

iii. بركات تنفيذ وصية المحبة

المحبة لها بركات كثيرة جداً فى حياة الإنسان المؤمن، فهى تمنح سلاماً، وتمنحنا رجاءً، وتمنح فرحاً وسعادة، كما تمنح قوة

وشجاعة. هذا ما يكون محور تأملنا فى هذا الفصل، وذلك على النحو التالى.

1. المحبة تمنحنا سلاماً

المحبة والسلام وجهان لعملة واحدة بل تكادان أن تكونا وجهاً واحداً. حتى نحن عندما نسلم بعضنا علي بعض نقول (سلام) أو (أغابي) بمعنى محبة. فعندما تُحب أحداً ذلك يعنى أن بينكما سلام.

كذلك محبتنا لله، ومحبة الله لنا، يمنحنا سلام لأن الله الذي نحبه ويحبنا هو إله السلام. وكثيراً ما أطلق عليه إله السلام:" وَمَا تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَتَسَلَّمْتُمُوهُ، وَسَمِعْتُمُوهُ، وَرَأَيْتُمُوهُ فِيَّ، فَهَذَا افْعَلُوا، وَإِلَهُ السَّلاَمِ يَكُونُ مَعَكُمْ"(في4 :9)، (رو15 :33)،(عب13 :20)، (رو16 :20). ورب السلام:" وَرَبُّ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُعْطِيكُمُ السَّلاَمَ دَائِماً مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. الرَّبُّ مَعَ جَمِيعِكُمْ"(2تس3 :16).

كما أن الوحي في العهد القديم يعلمنا قائلاً:" حَبِيبُ الرَّبِّ يَسْكُنُ لدَيْهِ آمِناً. يَسْتُرُهُ طُول النَّهَارِ وَبَيْنَ مَنْكِبَيْهِ يَسْكُنُ" (تث33 :12)، "بَاطِلٌ هُوَ لَكُمْ أَنْ تُبَكِّرُوا إِلَى الْقِيَامِ مُؤَخِّرِينَ الْجُلُوسَ آكِلِينَ خُبْزَ الأَتْعَابِ. لَكِنَّهُ يُعْطِي حَبِيبَهُ نَوْماً" (مز127 :2).

كذلك نجد تتابع المحبة والسلام في الكتاب المقدس، فالسلام نتيجة أكيدة للمحبة. فنجد السلام والمحبة مشتركان كثمرة من ثمار الروح القدس:" وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ"(غل5 :22). كما يربطهما ببعضهما القديس بولس الرسول عندما:" لِتَكْثُرْ لَكُمُ الرَّحْمَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْمَحَبَّةُ"(يه1 :2). ويقول أيضاً:" سَلاَمٌ عَلَى الإِخْوَةِ، وَمَحَبَّةٌ بِإِيمَانٍ مِنَ اَللهِ الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ"(اف6 :23). كما يوصي قائلاً:" أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَ اتْبَعِ الْبِرَّ وَ الإِيمَانَ وَ الْمَحَبَّةَ وَ السَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ" (2تي2 :22).

المحبة التي تحتمل كل شئ وترجو كل شئ وتصدق كل شئ من المؤكد أن صاحبها يكون قلبه مملوء سلاماً وأماناً واطمئناناً.

2. المحبة تمنحنا رجاءً

من صفات المحبة أنها ترجوكل شئ فالإنسان الذي يحب الله ويثق في محبة الله بالتأكيد يثق في مواعيد الله ويثق أيضاً في كلامه وفي ملكوته. يثق في قبول الله لتوبته كما انه يجاهد في رجاء في عدم خوف حتى ولو كان لديه بعض الضعفات فهو يثق في محبة الله وفي قدرته على أن يخلصه منها.

الإنسان المحب لله الواثق في محبة الله يثق أنه يريد الخلاص لجميع الناس ولا يشاء موت الخاطئ. لذلك نجده دائماً يجاهد ولا ييأس بل يترجى دائماً مراحم الله.

الإنسان الذي يثق في محبة الله وقدرته فانه ينظر إلي أعمال الله نجده يمتلئ رجاء. الله القادر على الخلاص من أتون النار ومن جب الأسود ومن جيش وعبودية فرعون. الله القادر أن يقيم الميت بعد أربعة أيام ويشفي الأعمي منذ ولادته والمريض ذا الثماني والثلاثين والنازفة التي لها اثني عشر عاماً تقاسي من الأمراض. من المؤكد أن إنساناً يثق في محبة هذا الإله يمتلئ قلبه رجاء مهما كانت الضيقات أو التجارب والأمراض. بل إن الإنسان الذي يثق في محبة الله نجد لسان حاله يقول:" كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رو8 :28). ولو مر بضيقة لا تريد أن تنتهي نجد لسان حاله يقول:" أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ وَغَاشَّةٌ هِيَ قُبْلاَتُ الْعَدُوِّ" (ام27 :6).

3. المحبة تمنحنا فرحاً وسعادة

إن الإنسان المحب للآخرين الذي لا يحسدهم تجده يفرح لفرح الآخرين ويشاركهم أفراحهم وسعادتهم كما يقول الكتاب "فَرَحاً مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ" (رو12 :15) وكما يقول المرتل في

المزمور:" لأَرَى خَيْرَ مُخْتَارِيكَ. لأَفْرَحَ بِفَرَحِ أُمَّتِكَ. لأَفْتَخِرَ مَعَ مِيرَاثِكَ" (مز106 :5). وكما يقول الرسول أيضاً:" وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ" (1كو12 :26).

ذلك الإنسان المحب تجده يفرح بتوبة الخطاة وتقدم المؤمنين في حياتهم الروحية ومواهب القديسين. فالإنسان الذي يحب الله يفرح بوجود الله معه فهو مصدر فرحه كما يفرح بوجوده هو أما م الله في بيته "فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي: إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ" (مز122 :1). يفرح بحديثه مع الله في الصلاة، وسماعه أثناء مطالعته للكتاب المقدس، فيقول:" وُجِدَ كَلاَمُكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلاَمُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي لأَنِّي دُعِيتُ بِاسْمِكَ يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ"(ار15 :16). ليس هناك فرح يضاهي الفرح برؤية الرب:" وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ"(يو20 :20). الرؤية بالنسبة لنا تكون على المستوى الروحي خلال الصلاة والتأمل وحالات الثيؤريا التي وصل إليها آباؤنا القديسون. فرح بالتعزية خلال تلك الممارسات الروحية. فرحاً بالدموع الروحية التي تنسكب من قلوبنا قبل عيوننا بفعل الروح القدس الذي يعمل فينا خلال الحب.

الإنسان المحب لله يتكل عليه فيبتهج ويفرح به:" وَيَفْرَحُ جَمِيعُ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ. إِلَى الأَبَدِ يَهْتِفُونَ وَتُظَلِّلُهُمْ. وَيَبْتَهِجُ بِكَ مُحِبُّو اسْمِكَ" (مز5 :11). كذلك الفرح بالرب وفي الرب يكون نتيجة محبتنا للرب:"

اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ وَأَقُولُ أَيْضاً افْرَحُوا" (في4 :4). يفرح بالخير الذي يجئ له من الله، ويفرح بالملكوت الذي ينتظره، متنبهاً لقول الكتاب:" وَلَكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ" (لو10 :20). كذلك يفرح حتى بالألم والضيقة كما حدث مع التلاميذ:" وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ" (اع5 :41). وكما يقول الرسول بولس:" الَّذِي الآنَ افْرَحُ فِي الاَمِي لأَجْلِكُمْ، وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ: الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ" (كو1 :24).

المحبة وحدها قادرة أن تحول كل الأمور إلى فرح. فما حدث مع آبائنا الشهداء والقديسين جعلهم:" فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ صَابِرِينَ فِي الضَّيْقِ مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ"(رو12:12). نفرح أيضاً حتى فى الحزن:" كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ"(2كو6 :10).

الإنسان الروحى يفرح بأعمال الله معه قائلاً:"عَظَّمَ الرَّبُّ الْعَمَلَ مَعَنَا وَصِرْنَا فَرِحِينَ"(مز126 :3). وكما يقول يوئيل النبى:" لاَ تَخَافِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ. ابْتَهِجِي وَافْرَحِي لأَنَّ الرَّبَّ يُعَظِّمُ عَمَلَهُ... وَيَا بَنِي صِهْيَوْنَ ابْتَهِجُوا وَافْرَحُوا بِالرَّبِّ إِلَهِكُمْ لأَنَّهُ يُعْطِيكُمُ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ عَلَى حَقِّهِ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مَطَراً مُبَكِّراً وَمُتَأَخِّراً فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ" (يؤ2 :21، 23) .

إن الإنسان المحب لله وللآخرين يفرح في كل شئ وبكل شئ. يفرح بامرأته:" لِيَكُنْ يَنْبُوعُكَ مُبَارَكاً وَافْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ"(ام5 :18). يفرح بأولاده، ويفرح حتي بالأشياء الطبيعية، ويكون دائماً فرحاً. كذلك لا يفرح فقط بتوبته وخلاصه من الخطية التي تبعد الفرح عنه. بل ويفرح أيضاً بحياة القداسة والطهارة مصدر كل الأفراح. يفرحوا بنصرتهم علي أعدائهم من عند الله:" لِيَرْجِعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ لأَنَّ الرَّبَّ فَرَّحَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ" (2اخبار20 :27).

كما أن هناك فرح آخر خاص بالخدمة والخدام. فالخدمة تعنى المحبة. محبة لله، ومحبة لأولاده الذين نخدمهم. توجد أفراح كثيرة مرتبطة بالخدمة، كالفرح بعمل الله معنا أثناء خدمتنا، والفرح بعمل الله في نجاح الخدمة، والفرح بتوبة المخدومين ونموهم الروحي. كذلك هناك فرحُ أيضاً بسبب محبة الآخرين كما يقول القديس بولس الرسول:" لأَنَّ لَنَا فَرَحاً كَثِيراً وَتَعْزِيَةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ، لأَنَّ أَحْشَاءَ الْقِدِّيسِينَ قَدِ اسْتَرَاحَتْ بِكَ أَيُّهَا الأَخُ" (فل1 :7). بل إن الإنسان الذي يحب الله يفرح حتى عند موته كما يقول الكتاب عن موت طوبيا:" وبعد أن أستوفى تسعاً و تسعين سنة في مخافة الرب دفن بفرح" (طوبيا14 :16).

كما أن سفر المزامير ملئ بعبارات الفرح بالرب وفي الرب:" أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرَنِّمُ لِاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ" (مز9 :2). " لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ

جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَداً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ"(مز40 :16). وقول:" فَآتِي إِلَى مَذْبَحِ اللهِ إِلَى اللهِ بَهْجَةِ فَرَحِي وَأَحْمَدُكَ بِالْعُودِ يَا اللهُ إِلَهِي" (مز43 :4)." أَبْتَهِجُ وَأَفْرَحُ بِرَحْمَتِكَ لأَنَّكَ نَظَرْتَ إِلَى مَذَلَّتِي وَعَرَفْتَ فِي الشَّدَائِدِ نَفْسِي"(مز31 :7). ويقول أيضاً:" افْرَحُوا بِالرَّبِّ وَابْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ وَاهْتِفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ" (مز32 :11). كذلك يقول:" لأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا لأَنَّنَا عَلَى اسْمِهِ الْقُدُّوسِ اتَّكَلْنَا"(مز33 :21). وأيضاً:" بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي. يَسْمَعُ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ"(مز34 :2) "أَمَّا نَفْسِي فَتَفْرَحُ بِالرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ بِخَلاَصِهِ" (مز35 :9). "أَسْمِعْنِي سُرُوراً وَفَرَحاً فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا" (مز51 :8). ويقول:" لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلاَصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ اللهِ سَبْيَ شَعْبِهِ يَهْتِفُ يَعْقُوبُ وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ" (مز53 :6). كذلك يقول:" أَمَّا الْمَلِكُ فَيَفْرَحُ بِاللهِ. يَفْتَخِرُ كُلُّ مَنْ يَحْلِفُ بِهِ. لأَنَّ أَفْوَاهَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ تُسَدُّ" (مز63 :11). وأيضاً:" يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ بِالرَّبِّ وَيَحْتَمِي بِهِ وَيَبْتَهِجُ كُلُّ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ" (مز64 :10). كذلك:" وَالصِّدِّيقُونَ يَفْرَحُونَ. يَبْتَهِجُونَ أَمَامَ اللهِ وَيَطْفِرُونَ فَرَحاً" (مز68 :3). "يَرَى ذَلِكَ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ وَتَحْيَا قُلُوبُكُمْ يَا طَالِبِي اللهِ" (مز69 :32). ويقول السفر أيضاً:" وَلْيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ كُلُّ طَالِبِيكَ وَلْيَقُلْ دَائِماً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ" (مز70 :4). وأيضاً:" افْرَحُوا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ بِالرَّبِّ وَاحْمَدُوا ذِكْرَ قُدْسِهِ" (مز97 :12). وقوله:" أَعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ. ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرَنُّمٍ" (مز100 :2).

4. المحبة تمنحنا قوة وشجاعة

المحبة ليس معناها الضعف والاستسلام، بل القوة والشجاعة. فالقلب الذي يحب الله ويحب الناس نجده لا يخاف. لا يخاف الله الذي يحبه بل يهابه ويحترمه مهابه الابن لأبيه، وليس خوف العبد من سيده. ولا يخاف الناس الذي يحبهم ويحبونه. ولا يخاف الوحوش لثقته في محبة خالقها. قلبه المطمئن والمحب لا توجد به مخاوف. وفي هذا قال القديس الأنبا أنطونيوس:" أنا لا أخاف الله لأني أحبه". كما قال الكتاب المقدس:" لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ"(1يو4 :18). إن الإنسان المحب لله لا يفعل شيئاً يُغضب الله سواء خطية أو تعدى. فالإنسان المحب للناس لا يفعل شيئاً يُغضبهم. مثل هذا الإنسان يكون نقي القلب. والقلب النقي الخالي من الخطية قلب قوى وشجاع.

الفصل الثالث

الله الثالوث كلى المحبه

لقد شهد الكتاب المقدس أن لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ. (1يو 4 : 8) حتي أنه قال "وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ" (1يو4 : 8) وعلى نفس المعنى " وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ اللهَ فَهَذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ. (1كو8 : 3) وقال أيضاً:" وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ. (1يو 4 : 16). وقد شهد الكتاب أيضاً عن الله أنه:" أَخِيراًأَيُّهَا الإِخْوَةُ افْرَحُوا. اكْمَلُوا. تَعَزَّوْا. اهْتَمُّوا اهْتِمَاماًوَاحِداً. عِيشُوا بِالسَّلاَمِ، وَإِلَهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلاَمِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ."(2كو 13: 11). فهناك أوجه كثيرة توضح أن الله محبة ومنها:

❖ وحدة الأقانيم فى الثالوث.

خير دليل علي أن الله محبة عقيدة الثالوث القدوس الذي نؤمن بها. فلو كان الله شخصاً غير الثالوث مثل أن يكون فرداً صمد فأين هى ديناميكية الحب؟!. من كان يحب ذلك الكائن الفرد الصمد قبل أن

يخلق أي شيئاً ؟!. ففى تجسد الابن الكلمة نراه (الله الابن) يخاطب الآب السماوى قائلاً:" أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ (يو 17 : 24). لذلك نجد أن عقيدة الثالوث المقدس تظهر لنا أن الله محبة، قبل أن يخلق أى شيئ فى الكون، فهذا الحب منذ الأزل كائن بين أقانيم الثالوث القدوس الواحد في الجوهر المتساوى في الأزلية والكرامة. فالمحبة فى بين الله الواحد المثلث الأقانيم تتبين على النحو التالى:

❖ **الوحدة الفريدة**

أول دليل علي ديناميكة المحبة بين الثالوث القدوس تلك الوحدة العجيبة بين الأقانيم الثلاثة رغم صفاتهم الأقنومية المتمايزة، فنحن لا نستطيع أن نفصل بين الأقانيم الثلاثة، كما أننا لا نستطيع أن نؤمن ونعلم إلا بالأقانيم الثلاثة فى الله الواحد فى الجوهر. وليس شئ يدلل بالتأكيد علي المحبة أكثر من الوحدة بين الثالوث. فقد أظهر السيد المسيح الابن الوحيد هذه الوحدة عندما قال بفمه الطاهر:" أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو10 :30). ويقول أيضاً:"... وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ وَأَمَّا هَؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ (يو17 :11). ويقول أيضاً:" وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟" (يو 5 : 44).

كذلك قوله الإلهى:" لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداًكَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاًوَاحِداًفِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي" (يو 17 : 21). وأيضاً يقول بفمه الطاهر:" وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداًكَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. (يو 17: 22).

❖ **وحدة المشيئة بين الأقانيم .**

هناك دليل ثانى على ديناميكية المحبة بين الثالوث القدوس إلهنا الواحد هو وحدة المشيئة. فليس هناك مشيئة للابن تخالف مشيئة الآب ولا مشيئة الروح القدس. هكذا لا يوجد مشيئة لأقنوم تخالف مشيئة الأقنوم الآخر . ويدل علي ذلك قول السيد المسيح:« طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ.(يو4 : 34). ويقول الرب يسوع أيضاً:" أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. (يو5: 30). وكذلك يقول:" لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي"(يو6: 38). فمن الآيات السابقة ليس دليلاً على اختلاف المشيئة بين الآب والابن بل دليل علي وحدة المشيئة. فمن المؤكد أنه ليس هناك حب أعظم من أن يخضع أحدٌ لمشيئة من يحبه. حتى عندما قال السيد المسيح في البستان:« يَا أَبَتَاهُ إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ».(مت26: 39). وقول السيد المسيح المسيح السابق أيضاً

لا يدلنا على اختلاف المشيئة بل على وحدتها. فرغم أن السيد المسيح يعرف مشيئة الآب ولا تختلف مشيئته مع مشيئة الآب لأن الآب والابن واحد فى الجوهر والابن في الآب والآب في الابن . إلا أن السيد المسيح أراد أن يوضح ويُظهر دور الآب في الخلاص فهذه هي مشيئته. ورغم أن الطبيعة البشرية التي أخذها السيد المسيح المماثلة تماماً لطبيعتنا البشرية مشيئتها الطبيعية أن ترفض الألم بكافة أنواعه إلا أن السيد المسيح لكي يُظهر وحدة المشيئة مع الآب فضل مشيئة الآب . وبهذا أظهر السيد المسيح في قوله السابق مشاركته لنا في الطبيعة البشرية بكل ما تشمله هذه الطبيعة. ومن ناحية أخرى أظهر وحدة المشيئة مع الآب فالابن رغم أخذه جسداً فهو لم ينفصل قط عن لاهوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

كما أن الآية السابقة تبين مدى حب السيد المسيح للبشرية لأنها تدل علي مدى الألم الجسدي والنفسى الذي تعرض له السيد المسيح حباً لنا ورغبة في خلاصنا. كما تؤكد أيضاً حقيقة التجسد وأن الجسد الذي أخذه السيد المسيح جسد حقيقي والدليل أنه قابل للألم.

هناك دليل آخر يدلنا علي وحدة المشيئة بين الثالوث المقدس عندما يقول القديس بولس الرسول بالروح القدس:" وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ فَحِينَئِذٍ الِابْنُ نَفْسُهُ أَيْضاً سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. (1كو 15 : 28). ربما يعتقد البعض خطأً

فى قول الرسول بولس السابق أنه يقلل من شأن لاهوت الابن، ولكن على العكس تماماً فهذا الخضوع هو خضوع الحب لأنه متى كان الابن غير خاضع ٍٍ للآب؟! وهل عندما يخضع الكل للآب، هل هذا الكل لن يكون خاضعاً للابن كذلك؟! فأين إذن الوحدة. ولكن القديس بولس الرسول قد سار علي درب السيد المسيح وذلك فى إظهار وحدة المشيئة بين الآب والابن. فلكي لا يعتقد أحد أن الابن هو الذي له الفضل في الخلاص وحده، لذلك ركز السيد المسيح وكذلك رسوله بولس في إظهار فضل الآب ووجوب خضوعنا له. إن السيد المسيح وكذلك الرسول بولس أراد أن يوضحا ويبينا لنا عقيدة الثالوث، والوحدة الفريدة بين الأقانيم الثلاثة. لذلك يستطرد الرسول بولس في رسائله الأخرى في خضوع كل شئ للابن كما للآب عندما يقول:" الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ (في 3 : 21)، فَإِنَّهُ لِمَلاَئِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ «الْعَالَمَ الْعَتِيدَ» الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ.(عب 2 : 5).

هناك آيتان تثبتان أن إنفراد أحد الأقانيم بصفة معينة لا يمنع الأقنومين الآخرين من هذه الصفة وذلك بفعل الوحدة والحب الآية الأولى:" لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلاِبْنِ. (يو 5 : 22). ويقول أيضاً:" وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدَيْنُونَتِي حَقٌّ لأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي"(يو 8 : 16). فرغم أن الآب قد

أعطي كل الدينونة للابن إلا إنهما مشتركان أيضاً في الدينونة بفعل الوحدة بينهما. على نفس القياس إن كان الابن بفعل خلاصه جعل الكل خاضعاً للآب، إلا أن هذا لا يمنع خضوع الكل للابن كذلك بفعل الوحدة أيضاً. وما خضوع الابن للآب سوى خضوع الحب مثلما يخضع الابن الحبيب لأبيه المحب. فهذا لا ينقص من الابن بل يزيد الابن رفعة وكرامة. والسيد المسيح يقول بفمه الطاهر:" دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ"(مت 28 : 18). فهل هذه الآية تدل على أن الآب ليس له سلطان؟! لا، بل على العكس فسلطان الابن من سلطان الآب بفعل الوحدة .

كما أن الآيات كثيرة التى تدل علي سلطان السيد المسيح الأبدي وإلى دهر الدهور وذلك مع أبيه الصالح والروح القدس وهذه الآيات هى:" إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ"(1بط 4: 11). ويقول الوحى الإلهى:" اَلإِلَهُ الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخَلِّصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعَظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ. آمِينَ (يه 1: 25). ويقول الوحى الإلهى:" وَجَعَلَنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ"(رؤ1: 6). ويقول أيضاً:"...وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ وَتَحْتَ الأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا

قَائِلَةً: «لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُوَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ». (رؤ 5 : 13).

❖ **هذا هو ابني الحبيب**

هناك شقان يدلان على المحبة بين الأقانيم الثلاثة في الآية السابقة . الشق الأول هو كلمة " الابن " فليس هناك تعبير إنساني يفوق كلمة:" ابن" يمكن أن يعبر عن المحبة لأنها محبة دائمة. الشق الثاني هو الكلمة الصريحة " **الحبيب** " هذا يثبت علاقة الحب بين الأقانيم الثلاثة فإننا لم نسمع الآب متكلماً في العهد الجديد إلا في حادثتي العماد والتجلى، فى كليهما يشهد بعلاقة الحب بين الأقانيم الثلاثة عندما يقول:"... وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت 3 : 17). وصوت الآب فى التجلى:« هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا»(مت 17 : 5). «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!»(مر1 : 11)، (مر9 : 7)، (لو3 : 22)، (لو9 : 35).

لقد ربط الكتاب بنوة الابن بالآب بالمحبة:" تَكُونُ مَعَكُمْ نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلاَمٌ مِنَ اللَّهِ الآبِ وَمِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، ابْنِ الآبِ بِالْحَقِّ وَالْمَحَبَّةِ"(2يو1 : 3). هذه المحبة بين الآب والابن هى محبة آزلية آبدية فى ذات الجوهر الواحد. وفى ذلك شهد الكتاب "لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ

الاِبْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. (يو 5 :20). وهذه الآية السابقة بالتأكيد تخص الابن الكلمة وقت تجسده وتخليته لذاته وهي تخص اليهود الذين لا يؤمنون بالسيد المسيح. كما أن السيد المسيح أراد أن يثبت من هذه الآية لليهود دوام محبة الآب للابن حتى وقت تجسده. أما الأمور التي سوف يريه إياها ليتعجب اليهود فهي تخص الصلب وما حدث أثنائه والقيامة والصعود وهذه الأمور تخص ابن الله الكلمة المتجسد. وقد شهد السيد المسيح بعلاقة الحب هذه حينما قال:" اَلآبُ يُحِبُّ الاِبْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ"(يو3 : 35). كذلك يقول:" لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الاِبْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ" (يو 5 :20). وأيضاً:" أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ"(يو 17: 24).

والأعجب من هذا أن السيد المسيح يشبه محبة الآب له بمحبته هو للمؤمنين، فيقول:" أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي"(يو 17 : 23). كذلك يقول:" وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ»(يو 17: 26). وفي مثل رب الكرم يشهد نجد صاحب الكرم يقول:" مَاذَا أَفْعَلُ؟ أُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ. لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ!" (لو20: 13). والسيد المسيح يقول:" أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ

لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو 17 : 23).

كما أن القديس يوحنا الحبيب يشهد بذلك أيضاً في رسالته الأولي قائلاً:" تَكُونُ مَعَكُمْ نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلاَمٌ مِنَ اللَّهِ الآبِ وَمِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، ابْنِ الآبِ بِالْحَقِّ وَالْمَحَبَّةِ" (2يو1 : 3).

بل أن نبوات العهد القديم قد تنبأت على الابن الحبيب أيضاً، فنسمع نبوة إشعياء النبي التي استشهد بها القديس متى في إنجيله قائلاً:" هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ" (مت 12 : 18). فالآب السماوي والابن الحبيب لم يتركا فرصة إلا ويشهدا فيها بعلاقة الحب التي تربط فيما بين الأقانيم الثلاثة.

ومما يدل على علاقة الحب وديناميكيته بين الثالوث المقدس ذلك الاتضاع العجيب. فمن الطبيعي إنني عند أحبك أتضع لك بكل حب وسرور. هكذا يظهر لنا في العهد الجديد نسمع أن الآب السماوي قد أعطى كل الدينونة للابن" **لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًابَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلِابْنِ**" (يو 5: 22). والابن نفسه سيخضع للآب. كل هذه عبارات نطق بها الروح القدس لكي يوضح لنا علاقة الحب والاتضاع

فيما بين الأقانيم الثلاثة ولكي نتعلم نحن أن المحبة الحقيقية في الوحدة والاتضاع بكل حب وسرور.

❖ **العمل المشترك بين الأقانيم**

تجلت قمة الحب بين الأقانيم الثلاثة عندما أعلن الكتاب المقدس تسليم الكنيسة بعد الصلب والقيامة والصعود للروح القدس وعمله فيها. وهذا ما أوضحه السيد المسيح عندما قال:" وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ"(يو 14: 16). كذلك قوله:" وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.(يو 14 : 26).

إن القارىء المدقق في الكتاب المقدس بعهديه سوف يجد أن العهد القديم ركز علي الآب القدوس. والأناجيل الأربعة ركزت علي عمل الابن الحبيب وخلاصه. وسفر الأعمال ركز على عمل الروح القدس فى الكنيسة. كذلك نجد في العهد القديم كله رموز وإشارات وظهورات لأقنوم الابن وعمله الخلاصي. كما نجد فى الأناجيل الأربعة شهادة الابن لأقنوم الآب، كما فى معظم إنجيل يوحنا . كما نجد فى سفر الأعمال، أنه رغم التركيز على عمل الروح القدس إلا أننا نجد الابن الحبيب يظهر لشاول الذى صار بولس الرسول فيما بعد. ما **نريد** قوله أن العلاقة بين الأقانيم الثلاثة هي علاقة حب ووحدة فريدة

وعجيبة . فنحن لا نستطيع الفصل فى الجوهر، كذلك لا يمكننا الخلط نهائياً بين الاقانيم.

هكذا يجب أن تكون علاقة المحبة فيما بيننا نحن البشر فالوحدة والمحبة يجب أن تكون موجودة مع تباين الأعمال التي نقوم بها – هذا طبعاً مع الفارق– فالإنسان كم هو محتاج لهذه الوحدة بينه وبين نفسه أولاً. ثم بينه وبين الآخرين. أولاً بينه وبين نفسه أن يكون هناك وحدة بين روحه وجسده فلا يفعل جسده ما يخالف مشيئة روحه. فكثيراً ما أراد الكتاب المقدس أن يعلمنا المحبة من خلال الوحدة فنجد السيد المسيح يقول "وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ."(يو 10 : 16). ويقول أيضاً:" وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللَّهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ"(يو 11: 52). كما يقول أيضاً الرب يسوع:"... وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ وَأَمَّا هَؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداًكَمَا نَحْنُ... لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداًكَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاًوَاحِداًفِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي... وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداًكَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ."(يو 17: 11، 21، 22).

ليتنا نتعلم الوحدة وعلاقة الحب من الثالوث القدوس الإله الواحد فنحب بعضناً بعضاً، ونتضع بعضناً لبعض بل ونخضع بعضنا للبعض الآخر، ونفضل مشيئة الآخرين، فى الرب، عن مشيئتنا، بكل حب وفرح وسرور، ونعظم الآخرين عن أنفسنا ونعتبر أن أعمالنا واحدة فلا نفتخر بل ننسبها بحب بعضنا للبعض الآخر.

❖ محبة الله في خلق الملائكة والإنسان والخلائق الأخرى

من المعروف أن الإنسان غير الحب يكون متقوقعاً حول نفسه، ليس له علاقات مع الآخرين، ولا يحب أن يكون له علاقات مع آخرين. على العكس تماماً نجد الله الخالق الذى لم يكن محتاج للحب فهو في علاقة حب أزلية أبدية في داخل جوهره الواحد ولكن لفرط حبه أراد أن يُظهر هذا الحب فخلق المخلوقات لكي يُخرج فيها حبه. فلا يمكننا إيجاد سبب آخر للخلق سوى الحب. سواء خلق الملائكة أو الإنسان أو حتي الحيوان والنبات بل والجماد .

أ -تجلى محبة الله فى خلق الملائكة

الله لم ولن يكون محتاجاً لأحد لكي يعبده ويصلي له، ومع ذلك خلق الملائكة لكي تتمتع بالوجود أمامه وتسبحه. والدليل علي مبدأ الحب في خلق الملائكة أن الله خلق ملائكته أرواحاً سامية. خلقها أنواراً تلتهب ومنحها قوة وسلطان يفوق بكثير الإنسان لذا نجد المرتل

داود يقول عن الإنسان:" وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاًعَنِ الْمَلاَئِكَةِ وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ." (مز 8 : 5). كما أن الرب الإله خلق ملائكته وهيأ لهم طعاماً روحياً سماوياً غير مدرك قال عنه الكتاب:" أَكَلَ الإِنْسَانُ خُبْزَ الْمَلاَئِكَةِ. أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ زَاداًلِلشِّبَعِ. (مز 78 : 25). ويقول الوحى الإلهى:" أما شعبك أيها الرب، فبدلا من ذلك أعطيتهم طعام الملائكة، و أرسلت لهم من السماء طعاما معدا للأكل لم يتعبوا فيه، يستطيبه الجميع علي اختلاف أذواقهم. (الحكمة 16: 20).

كما منحهم الله حرية الإرادة والعمل فنرى طغمة قد سقطت بإرادتها ومن محبة الرب الإله أنه لم يهلكها في الحال وترك معها قوتها. ومن جمال طبيعة الملائكة في خلقهم وعملهم سوف يصبح الإنسان الذي له نصيب في ملكوت السموات مثل الملائكة:" لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ.(مت22 : 30). ومن محبة الله للملائكة أنه يشركهم معه في العمل فسوف يأتون معه فى مجده عندما يأتى لدينونة العالم فيقول الكتاب:" وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ"(مت25 : 31). بل إن الكتاب يشركهم في مجد الابن ومجد الآب أيضاً:" لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فَبِهَذَا يَسْتَحِي ابْنُ الإِنْسَانِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِهِ وَمَجْدِ الآبِ وَالْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ"(لو9: 26). ونرى في الآية السابقة محبة الله للملائكة فقد خلقهم قديسين. وهناك آية جميلة توضح محبة الله وتواضعه لملائكته

فإن ابن الإنسان سوف يعترف بمن يعترف به قدام ملائكة الله:" وَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِي قُدَّامَ النَّاسِ يَعْتَرِفُ بِهِ ابْنُ الإِنْسَانِ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ"(لو12 : 8). كما أن الرب خلق ملائكته أرواحاً خالدة لا يموتون:" إِذْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضاًلأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ" (لو20 : 36). بل لقد منحهم من قوته كما يقول الكتاب:" وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ"(2تس1 : 7). " حَيْثُ مَلاَئِكَةٌ، وَهُمْ أَعْظَمُ قُوَّةً وَقُدْرَةً لاَ يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِمْ لَدَى الرَّبِّ حُكْمَ افْتِرَاءٍ" (2بط 2 :11). ومن محبة الرب الإله لملائكته أيضاً أنه خلقهم وأعطاهم مكاناً حول وأمام العرش كما يخبرنا سفر الرؤيا:" وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ كَانُوا وَاقِفِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالشُّيُوخِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ، وَخَرُّوا أَمَامَ الْعَرْشِ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا لِلَّهِ. (رؤ7 : 11). وكذلك يقول:" وَرَأَيْتُ السَّبْعَةَ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ يَقِفُونَ أَمَامَ اللهِ وَقَدْ أُعْطُوا سَبْعَةَ أَبْوَاقٍ. (رؤ 8 : 2). بل أن الرب الإله يلبس ملائكته ملابس ملكية تدل على محبته العظيمة لهم وجاء ذلك في سفر الرؤيا:" وَخَرَجَتِ السَّبْعَةُ الْمَلاَئِكَةُ وَمَعَهُمُ السَّبْعُ الضَّرَبَاتُ مِنَ الْهَيْكَلِ، وَهُمْ مُتَسَرْبِلُونَ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ وَبَهِيٍّ، وَمُتَمَنْطِقُونَ عِنْدَ صُدُورِهِمْ بِمَنَاطِقَ مِنْ ذَهَبٍ"(رؤ15 : 6). كما أعطاهم هيبة حتى أن كل من يراهم في مجدهم تأخذه الدهشة والعجب، كما حدث مع القديس يوحنا الحبيب الذي أراد أن يخر ويسجد للملاك الذي كان يريه الرؤيا:" فَخَرَرْتُ أَمَامَ

رِجْلَيْهِ لأَسْجُدَ لَهُ، فَقَالَ لِيَ: «انْظُرْ لاَ تَفْعَلْ! أَنَا عَبْدٌ مَعَكَ وَمَعَ إِخْوَتِكَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ شَهَادَةُ يَسُوعَ. اسْجُدْ لِلَّهِ. فَإِنَّ شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ».(رؤ 19: 10).

ب –خلق الإنسان

من طبيعة الله الحب. لذا لن نستطيع أن نجد جواباً لعلة خلقه للإنسان سوى الحب الذى هو من طبيعته. وقد تجلت محبة الله في خلقته للإنسان فقد خلقه على صورته ومثاله في الصورة النسبية غير المطلقة فى السلطان والخلود والنطق (العقل). بل أن الرب الإله من محبته قد أعد للإنسان كل شئ يمكن أن يحتاجه قبل أن يخلقه، فقد غرس له جنة لكي يتنعم فيها كما نقول في القداس الباسيلى، بل وأعد له كل شجرة شهية للنظر وللأكل ولم يحرمه الأكل منها. وتتجلى محبة الرب الإله في خلقه للإنسان في كونه خلق الإنسان طاهراً. فيخبرنا سفر التكوين في أن أبانا آدم وأمنا حواء كانا عريانين ولا يخجلان. كما أنه لمن الواضح أن الطبيعة كانت مستقرة مناخياً لذا استطاع أن يعيش أبوانا الأولان وهما عريانان. ومن محبة الرب الإله في خلقة للإنسان أنه خلقه حراً مريداً يظهر ذلك في إعطائه الوصية بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر فلو لم يكن الإنسان حراً مريداً لم يكن هناك حاجة إلى توصيته بل أنه مع الوصية بعدم

الأكل من تلك الشجرة الواحدة أعطاه السلطان للأكل من كل شجر الجنة حتى من شجرة الحياة.

ومن محبة الله أيضاً في خلقه للإنسان أنه أعطاه السلطان على كل الخليقة رغم أنه يجب أن يكون السلطان للرب وحده بل أن أشرك الإنسان في العمل معه ومنحم البركة والإثمار والكثرة.

كما تظهر محبة الله في خلق الإنسان عندما رأي أبانا آدم وحيداً خلق له حواء لتكون معيناً ونظيراً له. كان يمكن لله أن يخلق لآدم ذكراً من نفس جنسه ولكنه خلق له أنثى متباينة فعند التباين يظهر الحب. وقد شرع لهم سر الزيجة ليكون الإثنان واحداً علامة قمة الحب وقد غرس فيهما غريزة الحب الباقية إلى الآن. ورغم السقوط إلا أن الله جعل هذا الحب والاشتياق بين الرجل والمرأة موجوداً حتى يتعزوا به عن التعب وعرق الجبين. إن رقم اثنين في الكتاب المقدس يرمز للحب مثل آدم وحواء وعندما أرسل الرب تلاميذه أرسلهم اثنين اثنين.

كان يمكن لله إن يترك آدم وحيداً لكي يكتفي بالله فقط في الحب ولكن الله ليس أنانياً ولكنه محب أراد لآدم أن يتبادل الحب مع شخص مثله متساوٍ معه.

من محبة الله أنه في بعض الأحيان يتنازل عن عقوبته وكلامه حباً منه للإنسان فرغم أنه عاقب أبانا آدم وذريته في صلبه بالتعب وأكل الخبز بعرق الجبين إلا أنه عال شعب إسرائيل بالمن فى البرية. وتظهر محبة الله للإنسان حتى رغم سقوطه وتعديه لوصية الله وكبريائه وشهوته في أن يصبح مثل الله عارفاً الخير والشر رغم كل ذلك نجده يصنع لهم أقمصة من جلد التي هي رمز للخلاص الذي سوف يتمه بدم المسيح كما أعطاهم الوعد بالخلاص في أن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية.

ت -خلق الحيوانات والنباتات

إن الإنسان المملوء قلبه بالحب يفيض بذلك الحب على كل شئ حوله وهذا نراه في الرب الإله كلي الحب فقد أفاض بحبه حتي على الحيوانات غير العاقله والنبات الذي بدون عقل حتى الجماد الذي لا يحس. فما أروع جمال كل الكائنات التي خلقها الله جمال في الشكل، في التنوع، في المواهب المختلفة . فنرى من الحيوانات ما يمتاز بالقوة وما يمتاز بالسرعة ومن يمتاز بالذكاء. بل أنه من محبة الله لم يحرم الحيوان من بعض الغرائز التي يمكن أن يتمتع بها مثل غريزة الأمومة وغريزة الجنس وغريزة الأكل. وبالطبع لم يخلق الرب الإله الحيوانات مفترسة فالحيوانات ليست مفترسة بطبيعتها بل إن الافتراس دخيل عليها والدليل على ذلك أن الرب الإله قد أحضر كل الحيوانات

لأبينا آدم لكي يسميها. وأبونا نوح قد أدخل معه إلي الفُلك من كل الحيوانات. والقديسون بقداستهم يرجعون بالحيوانات المفترسة إلي طبيعتها غير المفترسة.

والنبات أيضاً قد خلقه الله في محبته في أجمل صورة فإننا نرى الزهور الجميلة التي هي ممتعة للنظر والفاكهة التي هي شهية للأكل والخضروات والبقوليات ذات القيمة الغذائية. والجماد أيضاً لم يبخل عليه الله المحب بالروعة والجمال في العلو والعظمة كالجبال وفي الاتساع والعمق كالبحار والمحيطات. بل أن الإنسان عندما يتأمل فقط في الماء الذي خلقه الله المحب سوف يسجد خاشعاً معترفاً بمحبة الله وعظمته. إن محبة الله تتجلى في ثبات الكون الذى خلقه، وإن كان بين الحين والآخر يرينا قدرته وعظمته ببعض البراكين والزلازل، حتى نتعظ ونؤمن به. مع ملاحظة أن الزلازل والبراكين هى ظواهر طبيعية لاعلاقة لها بشرور الإنسان. فالبراكين مثلاً ينتج عنها الجزر البركانية وأخصب أنواع التربة هى التربة البركانية.

الحب ليس حباً بل عبودية، فعندما يقع في عبودية حبه لنفسه فأنه يسجنها ويفقدها معنى الحب وفاعليته. فالحب الإيروسى صورة ناقصة من صور الحب. إنه دائرة مغلقة، يتوهم كل من يحبس نفسه فيها أنه قادر على الإنطلاق ولكنه حبيس لا يرى نور الحرية لأنه فى قبر الذات يعيش. هذه طبيعة هذا الحب الإيروسى، يعيش ولا يحب. يشتهى ولايبذل. يتلذذ ولا يرضى بجراح المسئولية والالتزام.

لذلك فأن الفرق بين الحب الإيروسى والحب المسيحى(الأغابى) هو أن الأول يتمركز حو الذات والثاني يتمركز حول الله. الأول رغبة وشوق واشتهاء، بينما الثانى بذل وعطاء وتضحية بالذات. الحب الإيروسى ينشد متعة الذات فى حين أن الحب الأغابى تهب نفسها للآخرين.

الفصل الرابع

عظمة المحبة

المحبة هى أعظم جميع الفضائل، يقول القديس بولس الرسول:" أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ الإِيمَانُ وَ الرَّجَاءُ وَ الْمَحَبَّةُ هَذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّة (1كو 13: 13). حقيقة لايوجد أي شئ يضاهى فضيلتي الإيمان والرجاء ولكن المحبة أعظم منهن. إن فضيلة المحبة لا تلغي الفضائل الأخرى، ولكنها تنميها. فالمحبة تقوم بتنفيذ وترجمة الفضائل الأخرى إلى أعمال كما يقول القديس بولس:" لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ (غل 5 :6). كما يقول أيضاً:" لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً" (غل5 : 13).

المحبة أعظم الفضائل لأنها لغة السماء، فمثلاً فضيلة الإيمان سينتهى دورها إلي حد ما عندما نرى الله، ونرى ما أعده لنا. سيكون مفهوم الإيمان في السماء هو الثقة في الله. والرجاء أيضاً سينتهي دوره بعد أن ندخل فعلاً إلي السماء وسيكون مفهومه الجديد هو التطلع نحو أمجاد وخيرات جديدة كل يوم. فالإيمان والرجاء هما طريقا يوصلا إلي الله، أما المحبة هي الله ذاته.

- **المحبة تكميل الناموس:**

يقول عنها الرسول بولس:" لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ. (رو 13 : 8) كما يقول في نفس المعنى:" لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ"(غل 5 : 14). كما يؤكد على كلامه بقوله:" فَإِنْ كُنْتُمْ تُكَمِّلُونَ النَّامُوسَ الْمُلُوكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». فَحَسَناً تَفْعَلُونَ. (يع 2 : 8)..

ويعلل ذلك بقوله:" لأَنَّ «لاَ تَزْنِ لاَ تَقْتُلْ لاَ تَسْرِقْ لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ لاَ تَشْتَهِ» وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌأُخْرَى هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ: «أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». (رو13 : 9) وبقوله أيضاً:" اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَصْنَعُ شَرّاًلِلْقَرِيبِ فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ"(رو 13 :10). فالإنسان الذي أخذ المحبة من الله، يحب الله ولايمكن أن يصنع شراً بأحد. وهو دون أن يدرى ينفذ الوصية والناموس. فالقديس بولس الرسول يريد أن يقول للمؤمنين بدلاً من أن تكونوا مستعبدين للناموس فلتكونوا مستعبدين للمحبة.

- **المحبة غاية الوصية**

يعلم القديس بولس الرسول تلميذه الأسقف تيموثاوس قائلاً:" وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ

بِلاَ رِيَاءٍ. (1تي 1: 5)، من أجل ذلك ينبغي علينا أن يكون الهدف من كل ممارستنا الروحية هو الوصول إلي محبة الله، ومحبة القريب.

- **المحبة لا تسقط أبداً**

يقول القديس بولس الرسول" اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً. وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ وَ الأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي وَ الْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ. (1كو 13 : 8). فالإنسان يسقط عندما يكون وحده وليس هناك من يسنده سواء بسبب كبرياء قلبه أو صغر نفسه. أما المحبة فيسندها الله ذاته لذا فهي لا تسقط أبداً. لذلك نقول فالمحبة أزلية أبدية لا تنتهي بل تستمر وتدوم معنا في الأبدية، بل وستزداد تلك المحبة في الأبدية. لذا سوف لا نشعر بملل ولا ضجر مع المحبة مثلاً إنسان تحبه، صديق أو زوجه، أوقريب، فيخيل لىّ أنك لايمكن أن تمل منه. هكذا في الأبدية مع الفارق الكبير بين تلك المحبة الأرضية وبين تلك المحبة السمائية التي سوف تنسكب فينا وتزداد في الأبدية. فإن لم يتدرب القلب علي المحبة لله هنا علي الأرض، فكيف يعيش في المحبة الدائمة في الأبدية.

- **المحبة هي رباط الكمال**

يقول القديس بولس الرسول:" وَعَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ (كو3: 14).

المحبة هي تاج كل الفضائل، والمؤشر الحقيقي لارتداء الإنسان الجديد، هي رباط الكمال. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:" بدون المحبة تصير كل الفضائل بلا قيمة ولا منفعة". فالمحبة تحتضن كل الفضائل معًا وتجذب المسيحي من خلالها إلى الكمال. فهى رباط الفضائل وبدونها تصبح الفضائل غير مربوطة وغير موثوق فيها وتكون مدعاة للسخرية.

المحبة أم الفضائل كلها ترتبط بها كل الفضائل فهي مثل الأم؛ لأنها مصدر كل الفضائل، فالمحبة هي التي تدفعنا إلي إقتناء الفضائل وتنفيذها فهي التي تحثنا علي الصلاة حباً بالله والعطاء حباً في القريب. هكذا مع باقي الفضائل، بدون المحبة لا تصلح فضيلة ولا تُقبل صلاة ولا تنفع خدمة. إن كل ما نفعله ولو كان خيراً في ذاته لكنه خالٍ من الحب والشوق للمسيح هو نفاية. ومهما استفاد منه الآخرون فنحن لا ننتفع شيئاً ويقول في ذلك القديس يوحنا ذهبي الفم:" إن ما يريد القديس بولس الرسول قوله هو إن تلك الأشياء (الفضائل) لا نفع منها، لأن جميعها تتهاوى إن لم تتم بالحب،فهو الذي يربطها جميعا معًا في رباط واحد. فمهما كان ما تفعله صالحًا إن لم يكن بالحب سرعان ما يزول أثره ويصبح كلا شيء".

كذلك يقول القديس يعقوب السروجى:" الحسنات هي مثل أعضاء الجسد الواحد، والحب يكمل موضع جميع الحسنات". كما يقول

أيضاً:" الصوم حسن وإن صام إنسان بغير حب ينتن فمه، ولا يربح بتنسكه شيئاً... فالصلاة محبوبة وإن لم يُصعدها الحب فجناحها ضعيف ، ولا تنظر العلي في مكانه ...الصدقة عظيمة جداً لعاملها، وإن لم يعملها بالحب فباطل هو عمله".

- **المحبة والغفران لخطايا الأخرين**

" وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا (1بط 4 : 8). المحبة تغفر الخطايا من عدة جوانب.

الجانب الأول: هو محبة الله الذي يغفر لنا خطايانا من قبل محبته لنا وذلك خلال توبتنا واعترافنا:" إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ. (1يو1 : 9).

الجانب الثانى: هو محبتنا نحن المستقاة من محبة المسيح تجعلنا نسامح ونغفر زلات أخوتنا ونستر عليهم ولا ندينهم.

هناك جانب ثالث: هو محبتنا نحن لله تجعله يغفر لنا خطايانا، ونرى ذلك في قصة المرأة الخاطئة في بيت سمعان، حيث نجد السيد المسيح يقول لسمعان عن المرأة الخاطئة:" مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً».(لو 7 : 47).

هناك جانب رابع: في المحبة يجعل الله يغفر لنا وهو محبتنا نحن لإخوتنا وتسامحنا معهم وسترنا عليهم يجعل الله يفعل لنا بالمثل " فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلاَّتِكُمْ" (مر 11 : 25). كما يقول:" لاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ (لو 6 : 37).

- **بدون المحبة تبطل كل الفضائل**

أى فضيلة لا تُمارس بدون محبة تكون باطلة. فعندما تكون خالية من المحبة فنجده يقول:" إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نُحَاساً يَطِنُّ أَوْ صَنْجاً يَرِنُّ" (1كو 13: 1). كما يقول:" وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ وَأَعْلَمَ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئاً. (1كو 13 : 2). ويقول أيضاً:" و ۟إِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئاً "(1كو 13 : 3).

فى ذلك يقول القديس يعقوب السروجى:" عندما يدخل الحب للنفس تستضئ أفكارها ويدخل العقل ليخدم الأسرار الإلهية ..الحسنات هي حسنة لفاعليها ، وإن فُعلت بدون الحب ليست هي حسنة .. الملح يصلح المذاقات ويطيبها ، والحب يطيب الحسنات إن عُملت به".

- **لا خوف في المحبة**

يقول القديس يوحنا:" لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ.(1يو 4 : 18) .

فالإنسان الذي يحب الله، يحب القريب. كما يثق في محبة الله ومحبة القريب. لذلك من المؤكد أنه يعيش في سلام بعيد عن الخوف، فمن من يخاف وهو واثق من محبة ضابط الكل له؟!.

الإنسان الذي يحب الله ويحفظ وصاياه وهوواثق في محبة الله لا يخاف حتي من المستقبل في الأبدية ويمكنه أن يردد مع القديس يوحنا الحبيب بكل ثقة:" بِهَذَا تَكَمَّلَتِ الْمَحَبَّةُ فِينَا: أَنْ يَكُونَ لَنَا ثِقَةٌ فِي يَوْمِ الدِّينِ، لأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِي هَذَا الْعَالَمِ هَكَذَا نَحْنُ أَيْضاً. (1يو 4 : 17).

إن المحبة الحقيقية يصحبها الفرح لا الخوف، كما قال السيد المسيح لتلاميذه:" سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي.(يو 14 : 28).

- **المحبة قوية كالموت**

هكذا يقول سفر المحبة، سفر نشيد الأناشيد:" **اِجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لأَنَّ الْمَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ. الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَاوِيَةِ. لَهِيبُهَا لَهِيبُ نَارٍ لَظَى الرَّبِّ.** (نش 8 : 6). هنا تريد العروس أن تقول: إن الموت هين، لا يقدر أن يفصلني عن حبي لك، والمياه الكثيرة وجميع الأنهار لا تقدر أن تطفئه أو تغمره. وكما يقول الرسول بولس:" **مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟.... فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً.وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا** (رو ٨: ٣٨، ٣٩). يقول القديس أغسطينوس في هذا:" لا تستطيع زوابع العالم أو أمواج التجارب أن تطفئ لهيب الحب. عن هذا قيل:" المحبة قوية كالموت". فكما أن الموت متى حل لا يوجد من يقدر على مقاومته، إذ لا يقدر المولودون للموت أن يصدوا عنف الموت بأي فن من الفنون أو نوع من الأدوية، هكذا لا يقدر العالم أن يقف ضد قوة الحب، فكما أن الموت عنيف هكذا في التدمير، كذلك الحب قوى في الإنقاذ (الخلاص)، خلال الحب مات كثيرون عن العالم ليحيوا لله ".

الفصل الخامس

الله محبة
(تعاملاته مع الخطاة)

تتجلى محبة الله في أبهى صورها في محبته للخطاة وعطفه عليهم. فرغم أن الله عادل ولا تتفق قداسته مع الخطية إلا أنه محب ورحيم أيضاً. فعدله غير المحدود يوجب محاسبة الخاطئ إن لم يتب ومحبته غير المحدودة توجب قبول توبة الخاطئ في كل مراحل حياته. بل نقول إن عدل الله به محبة فمن أهداف محاسبة الله للخطاة هو إتعاظهم ورجوعهم عن الخطية فيستحقون الرحمة ويفلتون من العقاب الأبدى. ويمكننا أن نتحدث عن عدة مظاهر تبين محبة الله للخطاة في النقاط التالية:

(أ) الله يحتمل الخطاة.

من مظاهر محبة الله للخطاة أنه يحتملهم ويحتمل شرورهم فيمكن لله وعدله أن ينزل العقاب على الخاطئ بعد الخطية مباشرة ولكنه يتمهل ويحتمل. ومن محبة الله القدوس أنه قد احتمل شرور البشرية

منذ الخلق على الرغم من كثرة عددهم وكثرة شرورهم وفظاعة خطاياهم وتنوعها. فكيف احتمل الله كل هذا الزنا والقتل والفحشاء ... ؟! هي المحبة التى قيل عنها أنها تحتمل كل شئ .

من المرات القليلة التي اتخذ فيها السيد الرب قراراً بالعقاب أيام الطوفان وبعدها قرر الرب من محبته بأن لا يجئ بالطوفان مرة ثانية علي الأرض... عظيمة هي محبة الرب.

الله لا يحتمل فقط بل يقبل الخاطئ إن رجع عن طريقه فموسى النبي قتل، وداود الملك البار زنا وقتل، وموسى الاسود قد فعل من الشرور ما لا يُحصى! رغم ذلك نرى محبة الله تسامح. تلك المحبة التي لا تشاء موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه. إن محبة الله لا تقبل توبة الخاطئ فقط بل ولا تنزع عنه رتبته مع بقاء محبة الله فهوذا بطرس يقول له الرب:" **إرع خرافي**". وداود النبي يقبل شفاعته حتى بعد موته قائلاً "من أجل داود عبدي" وموسي الأسود يجعله من القديسين العظام في الكنيسة ويتشفع به الكثيرون فى كل العصور بكل البلاد.

(ب) الله يحذر الخطاة

الله لا يحتمل الخطاة فقط بل من محبة الله للخاطئ أيضاً أنه يقوم بتحذيره قبل أن يخطئ حتى لا يُخطئ، وذلك على لسان أنبيائه

ورسله وكتابه المقدس الذي يحذر الخاطئ من الخطية ويحسه على الفضيلة والتقوى. ومن الأمثلة القوية علي تحذير الخاطئ ما قاله الرب الإله لقايين عندما رأى ما بداخله من أفكار خاطئة تجاه هابيل أخيه فنجده يحذره ويقول له: " وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا" (تك4 : 7).

هناك انذار قدمه الرب قبل الطوفان (تك6) . وإنذار قدمه لأهل سدوم علي يد لوط (تك19). وإنذارات يقدمها في سفر الرؤيا قبل المجيء الثاني(رؤ8). وإنذار أمر به في سفر حزقيال النبي. فقال له:" يَا ابْنَ آدَمَ، قَدْ جَعَلْتُكَ رَقِيباً لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ. فَاسْمَعِ الْكَلِمَةَ مِنْ فَمِي وَأَنْذِرْهُمْ مِنْ قِبَلِي". ويقول أيضاً:" وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ فَقَدْ جَعَلْتُكَ رَقِيباً لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ، فَتَسْمَعُ الْكَلاَمَ مِنْ فَمِي وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ قِبَلِي" (حز3:17).

كذلك يهوذا الذي سلم السيد المسيح نجد السيد المسيح يحذره بل يهدده لعله يرتدع ويرجع عن ما في داخله قائلاً "إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ . كَانَ خَيْراً لِذَلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ" (مت26 :24)، (مر14 :21).

الله يريد أن جميع الناس يخلصون وإلي معرفة الحق يقبلون، ولا يشاء موت الخاطئ. لذا نجده يحذر دائماً الخطاة في كل مراحل خطيتهم وذلك من خلال عظة يسمعونها أو كلمة يقرأونها أو حتى شدة يشعرون من خلالها بتحذيرات الله للخاطىء. مع أن الله المحب، من غير الممكن أن يترك الخطاة دون أن يحذرهم ويقف بجوارهم، ولكنه لا يرغم ولا يُقصر أحد على التوبة فقد خلق الله الإنسان في كامل حريته حتى متى حاسبه أو كافأه فيكون ذلك حسب عدله .

(جـ) الله ينتظر رجوع الخاطىء

الله لا يحذر فقط قبل الخطية، بل وينتظر توبة الخاطئ متى يرجع. لذلك نجد أن السيد المسيح قد اختار موت الصليب حتى يكون فاتحاً ذراعيه وجنبه المطعون، ليقبل أى خاطئ يريد التوبة فهو الذى قال:" كُلُّ مَا يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً"(يو6 :37). كما يظهر ذلك في مثل الابن الضال الذي كان أبيه في إنتظاره ورغم أخطاء ذلك الابن نجد الآب المحب يتحنن ويركض إليه ويعانقه. بل ويرد إليه بنوته ذلك الذي كان لا يحلم بأكثر من أن يكون أجيراً. ليس ذلك فقط بل لقد ألبسه خاتمه ولم يقبل بأقل من العجل المثمن[1].

[1] **راجع كتاب تأملات فى مثل الابن الضال للمؤلف**

هكذا الله المحب يكون في إنتظارنا فاتحاً ذراعيه لكي يقبلنا ويحتضنا ذابحاً لنا العجل المثمن(الذى يرمز لجسد الرب ودمه الكريمين) ملبساً إيانا خاتمه رمز التحرر من الخطية.

(د) الله يدعو الخطاة ويبحث عنهم.

فالسيد المسيح عندما تجسد لخلاص الخطاة قال بفمه الطاهر "فَاذْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (مت9 :13)، (مر2 :17)، (لو5 :32). نفس الموقف لم يتغير عندما أخطأ أبوانا الأولان نجد الرب الإله ينادي أبانا آدم قائلاً "فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ: أَيْنَ أَنْتَ؟" (تك3 :9) داعياً إياه للاعتراف والتوبة .

كذلك نجد الرب الإله يخاطب وينادي الخطاة في كل جيل وعصر قائلاً "هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ . إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِير كَالصُّوفِ" (اش1: 18).

فى مثل عرس ابن الملك نجد أن الملك عندما لم يُرِد بنو العرس حضور العرس وهم اليهود قال لعبيده:" فَاذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ وَكُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ"(مت22 :9). وأولئك العبيد فعلوا كما أمرهم سيدهم:" فَخَرَجَ أُولَئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَاراً وَصَالِحِينَ. فَامْتَلأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ" (مت22

:10). فالله يدعوا الصالحين كما الأشرار والخطاة بشرط أن يتوبوا ليس كما فعل ذلك الإنسان الذي لم يكن لابساً لباس العرس. وما لباس العرس هذا سوى التوبة الصادقة من القلب حسب ما رتبها الله في كنيسته المقدسة.

فالسيد المسيح ينادي الخطاة في كل جيل وعصر قائلاً:" هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤ3 :20). كما جاء في سفر النشيد عن صوت الحبيب جاء ينادي عروسه "صَوْتُ حَبِيبِي. هُوَذَا آتٍ طَافِراً عَلَى الْجِبَالِ قَافِزاً عَلَى التِّلاَلِ" (نش2 :8). ورغم تكاسل العروس ونومها الذي يرمز إلي الخطية ورغم ذلك نجد الحبيب يقف علي الباب وينادي قائلاً:" أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ. صَوْتُ حَبِيبِي قَارِعاً: «اِفْتَحِي لِي يَا أُخْتِي يَا حَبِيبَتِي يَا حَمَامَتِي يَا كَامِلَتِي لأَنَّ رَأْسِي امْتَلأَ مِنَ الطَّلِّ وَقُصَصِي مِنْ نَدَى اللَّيْلِ" (نش5 :2) .

الله محبة حتى مع الخطاة البعيدين عنه يناديهم ويدعوهم علي الدوام حتي يتوبوا ويرجعوا لتُمحي خطاياهم. لذا نجده يرسل أنبياءه ورسله وخدامه فى كل عصر للمناداة بالتوبة والرجوع عن الخطية .

(هـ) الله يسعى وراء الخاطىء

الله لا ينتظر الخطاة ويدعوهم للتوبة فقط، بل يسعي بنفسه لخلاصهم. فمن الأمثلة الجميلة لذلك مثل الخروف الضال، فقد سعى الله إليه على الجبال لكي يجده. فالخروف ليس له عقل أو إرادة حتى يفكر ويقرر الرجوع مثل أي إنسان تسيطر عليه الخطية فيكون مسلوب الإرادة والعقل ولايستطيع أن يفكر في التوبة والرجوع. لكن الله من محبته يسعى لخلاص ذلك الخاطئ خلاصه من الخطية وسيطرتها. لذلك يقول السيد المسيح في نهاية مثل الخروف الضال:" مَاذَا تَظُنُّونَ؟ إِنْ كَانَ لِإِنْسَانٍ مِئَةُ خَرُوفٍ وَضَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا أَفَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ؟" (مت18 :12).

كذلك مثل الدرهم المفقود الذي لن يستطيع أن يجد نفسه فماذا فعلت صاحبته؟! فيقول السيد المسيح:" أَوْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَماً وَاحِداً أَلاَ تُوقِدُ سِرَاجاً وَتَكْنِسُ الْبَيْتَ وَتُفَتِّشُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟" (لو15 :8). هكذا الله كلى الحب الذي خلقنا وجبلنا فهو ملكنا ونحن جبلته عندما نضيع منه بالخطية، نجده يفتش ويبحث عنا باجتهاد وينير ظلمة الخطية التي صنعناها بداخلنا ويطهرنا من كل دنس الخطية حتي يجدنا بل يجددنا ويرجعنا إلي الصورة التى جبلنا عليها حسب صورته ومثاله في البر والقداسة حسب القياس النسبي لا المطلق .

الله كلي الحب عندما رأى الخليقة قد سقطت ولا تستطيع أن

تخلص نفسها لم يقف متفرجاً بل جاء إلي أرضنا متجسداً ومتنازلاً، ليس ذلك فقط بل احتمل كل صنوف الآلام والتعيير حتى الصليب لكي يخلصنا من خطايانا.

(و) الله يحسن إلى الخطاة ويترفق بهم.

يذكر الكتاب المقدس عن الله تبارك أسمه:"... لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ" (مت5 :45). وأعظم مثل لتعامل الله بالرفق مع الخطاة هو المثل الذي جاء في (حز⏳🗁) حيث شبه السيد الرب أورشليم، بل وكل نفس خاطئة، بامرأة منطرحة مدوسة في دمها وجدها علي الطريق فماذا يفعل بها؟!. نجده بكل رفق وتحنن يقول:" فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ، وَإِذَا زَمَنُكِ زَمَنُ الْحُبِّ. فَبَسَطْتُ ذَيْلِي عَلَيْكِ وَسَتَرْتُ عَوْرَتَكِ، وَحَلَفْتُ لَكِ وَدَخَلْتُ مَعَكِ فِي عَهْدٍ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَصِرْتِ لِي. فَحَمَّمْتُكِ بِالْمَاءِ وَغَسَلْتُ عَنْكِ دِمَاءَكِ وَمَسَحْتُكِ بِالزَّيْتِ،. وَأَلْبَسْتُكِ مُطَرَّزَةً، وَنَعَلْتُكِ بِالتُّخَسِ، وَأَزَّرْتُكِ بِالْكَتَّانِ وَكَسَوْتُكِ بَزّاً، وَحَلَّيْتُكِ بِالْحُلِيِّ، فَوَضَعْتُ أَسْوِرَةً فِي يَدَيْكِ وَطَوْقاً فِي عُنُقِكِ" (حز16 : 8-11).

هل هناك رفق وتحنن ومحبة أعظم من هذا؟! قد حدث هذا بالفعل عندما جاء رب المجد يسوع من سمائه ووجدنا مطروحين بدماء

الخطية فحممنا بماء المعمودية ومسحنا بدهن الميرون المقدس وكسونا بثوب بره.

(ز) الله يعد الخطاة ويشجعهم

الله في محبته يعد الخاطئ بمواعيد يشجعه على التوبة، من هذه المواعيد:

❖ **مغفرة الخطية:** السيد المسيح بتجسده وصلبه قد منح المغفرة والخلاص لجميع البشر، وبدون هذه الشفاعة الكفارية ما حصل أي شخص علي الخلاص ومغفرة الخطايا. ولكن كيف نحصل على هذا الخلاص الذي تم علي الصليب؟! بالتأكيد من خلال دم المسيح؟! وكيف نحصل على دم المسيح؟! عن طريق الإيمان والتوبة الصادقة، والتناول من جسد الرب ودمه، والاعتراف بالخطايا حتى لا نصبح مجرمين في جسد الرب ودمه، لذا أسس السيد المسيح سر التوبة والاعتراف المستمد من سلطان الحل والربط حينما قال السيد المسيح لرسله الاطهار "مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو20 :23). لقد وضع السيد المسيح سر التوبة والاعتراف ومنح كهنته سلطان الحل لأجل الإنسان الخاطئ لكي يطمئن لمغفرة خطاياه فيتقدم بثقة إلي مذبح الله متناولاً من جسد الرب ودمه لمغفرة الخطايا ودم المسيح:" وَهُوَ

كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً"(1يو2 :2) .

هناك وعود كثيرة من الله للخاطئ الذي يتوب وذلك بمغفرة خطاياه فقد قال القديس بطرس بالروح القدس:" فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ" (اع3: 19) .

كذلك من محبة الله للخاطئ التائب وعده بأنه:" لَنْ أَذْكُرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ"(عب10: 17). ويقول الكتاب أيضاً:" لأَنِّي أَكُونُ صَفُوحاً عَنْ آثَامِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ" (عب8 :12). كما يذكر القديس يوحنا" إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (1يو1 :9).

• **فرح في السماء وعلى الأرض:** من أعمال الله كلي الحب الخاصة بالتوبة التي تشجع الخاطئ عند توبته أنه قد وضع طقس الفرح الذي يلازم التوبة. ليس على الأرض فقط ولا للإنسان الخاطئ فقط بل طقس ذلك الفرح يكون في السماء كما قال السيد المسيح:" أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارّاً لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ" (لو15 :7). ويكرر ذلك "هَكَذَا أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ" (لو15

:10). كما نسمع ذلك من القديس متى على لسان السيد المسيح في مثل الخروف الضال:" وَإِنِ اتَّفَقَ أَنْ يَجِدَهُ فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَفْرَحُ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ الَّتِي لَمْ تَضِلَّ" (مت18 :13).

كما يقول في نفس المثل بإنجيل لوقا "وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحاً" (لو15 :5). ويقول المثل أيضاً "وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلاً لَهُمُ: افْرَحُوا مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ" (لو15 :6). كذلك في مثل الدرهم المفقود. بل أن الله المحب قد أوجب الفرح لتوبة الخاطئ ورجوعه عن الخطية عندما قال الأب في مثل الابن الضال للابن الأكبر:" وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ لأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاً فَوُجِدَ" (لو15: 32).

إن الفرح الذي يصاحب التوبة من أكبر المشجعات للخاطئ الذي يشرع في التوبة .ليتنا جميعاً نحس أننا خطاة فنلجأ دائماً بالتوبة التي تتسبب في حدوث فرح لملائكة الله ولكهنته وخدامه ولنا بل ولله ذاته .

- وعد الله بقبول توبة الخاطىء: فاللص علي الصليب في آخر ساعات حياته، إذ قال له "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو23:43). وأيضاً "فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ سَكَتُوا وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ: إِذاً أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضاً التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!" (أع:11– 18). هكذا يفتح باب الرجاء أمام كل واحد:" هَلْ

مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ؟ أَلاَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ فَيَحْيَا؟" (حز 23:18).

(ح) الله يحذر الخطاة من العقاب الأبدي: فالله قد شرع العقاب الأبدي في كتابه المقدس ليس لأجل عدله فقط، بل لأجل محبته أيضاً. فالله يريد أن الجميع يخلصون، كما أنه يعرف أن ليس كل الناس يرجعون إليه بفضل محبته أو سعيه وراءهم ولا حتى لأجل إحساناته وخيراته. بل هناك أناس لا يرتدعون إلا تحت نير التهديد والخوف. لذا وضع الله العقاب الأبدي حتي يتعظ مثل هؤلاء الناس ويرجعوا إلي راعي نفوسهم الحقيقى.

(ط) الله يقبل الخطاة التائبين: فالسيد المسيح يقول بفمه الطاهر للخطاة كما لكل الناس:" من يقبل إلي لا أخرجه خارجاً ". فهو يقبل الخاطئ ولو كان في آخر لحظات حياته مثل اللص اليمين علي عود الصليب. فهو يقبل الخاطئ ولو كانت له مدة طويلة في الخطية، أو لو كان قد صنع من الخطايا أبشعها أو ما لا يُحصى منها بشرط التوبة والاعتراف واستحقاق الغفران بدم المسيح وجسده الكريمين واحتمال أي عقوبة يستحقها سواء دينية أو مدنية.

كما أن هناك كثير من الأمثلة عن قبول الله للخطاة. فهوذا داود النبي وخطيتا الزنا والقتل. والمرأة السامرية والخمسة أزواج والذي معها ليس

هو بزوج لها والمرأة التي أُمسكت في ذات الفعل وموسى الأسود، والقديس أغسطينوس. والكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة ملئ بالأمثلة التي تدل علي ان الله لا يشاء موت الخاطئ مثل ما يقبل إليه ويرجع عن خطاياه ويحيا.

(ى) الله يحب الخطاة التائبين: السيد المسيح له كل المجد عندما أتى متجسدا ومتألماً ومصلوباً كان ذلك ونحن خطاة كما هو مكتوب:" وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رو5 :8). كما قالوا عن السيد المسيح في فترة تجسده علي الأرض:" جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ" (لو7 :34). فها هو يشفق علي المرأة التي أمسكت في ذات الفعل ولا يدينها. ويدافع عن المرأة الخاطئة في بيت سمعان غافراً لها خطاياها الكثيرة. ويذهب وقت حر النهار للسامرية متحدثاً وجاذباً إياها من الخطية إلى الكرازة للسامرة. واللص اليمين وهو في آخر لحظات حياته على الصليب نجد الرب يظهر حبه له مستغلاً اعترافه وتوبته ليرسله إلى الفردوس. نعم إن الله حقاً يحب الخاطئ ولكنه لا يحب الخطية.

(ك) الله يتأنى على الخطاة ويطيل أناته عليهم: الله من صفاته أنه طويل الأناة وخاصة على الخطاة فلو أحصينا كم الخطايا التى حدث في يوم واحد من تاريخ البشرية وأحصينا البشاعة التي تحدث بها

سوف نرى كم أن الله يتأني على الخطاة. من المرات القليلة التي اتخذ الله فيها موقف من الخطية حادثة الطوفان وغرق العالم الشرير بأكمله. حتي هذه الحادثة توضح بما لا يدع مجالاً للشك محبة الله للجنس البشري فقد قرر الله بعد هذه الحادثة أن لا يُغرق العالم بالطوفان مرة أخرى لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته.

إن الله يتأنى علي الخاطئ راجياً أن يتوب، فكما سمعنا عن فرعون:" فَمَاذَا إِنْ كَانَ اللهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ" (رو 9 : 22). وكما يقول القديس بطرس الرسول:" لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" (2بط3 :9). كذلك يقول القديس بولس الرسول:" أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟"(رو2 :4).

لقد وصف القديس بولس الرسول المحبة أنها:" الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَتْنَفِخُ" (1كو13 :4).

حتى الأمم الذين عبدوا الأصنام، واتخذوا لهم آلهة أخرى غير الرب، والذى قال عنهم الوحى الإلهى:" قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لَيْسَ إِلَهٌ. فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً"(مز14: 1). نجد أن

السيد المسيح أطال أناته عليهم لمدة تزيد عن خمسة آلاف سنة حتى جاء ملء الزمان الذي دخل فيه الأمم إلي الإيمان. كما نجد السيد المسيح يوصي تلاميذه:" وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا" (مر15:16) .

كما ظهرت طول أناة الله علي نينوى وعلي يونان، على أهل نينوى المدينة الأممية الخاطئة:" الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رَبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ!" (يون11:4). وبطول أناة الله، وبكرازة نبيه يونان، تاب أهل نينوي، وصاموا وجلسوا في المسوح والرماد. وغفر لهم الله وقبل توبتهم، كما قبل توبة أهل السفينة أيضاً.

وبنفس طول الأناة تعامل الرب مع يونان، الذي هرب أولاً من وجه الرب واخذ سفينة إلي ترشيش."فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ" (يون3:1). لم يأخذه الرب في وقت خطيئته وهربه، بل أطال أناته عليه على الرغم من عصيانه. وأعد له حوتاً عظيماً ابتلعه ولقنه درساً، فأطاع أخيراً. وذهب ونادى لنينوي حتى تاب شعبها وخلص:" فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ. أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً لِلَّهِ مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ"(يون3:3). كل ذلك لأن الله في محبته، لا يشاء أن

يموت الخاطئ، بل أن يعطي فرصة لكي يتوب ويرجع فيحياً (خر23:18).

هكذا في محبة الله، أطال أناته على الخطاة، مثل زكا العشار الذى تعجب الناس من أن يدخل الرب إلي بيته وهو رجل خاطئ. ولكن الرب أعلن قائلاً:" فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ"(لو19:9). وحدث نفس الشئ مع متى العشار، الذي لم يترك فقط مكان الجباية، بل صار واحداً من الاثنى عشر. وبالمثل أطال أناته علي المرأة السامرية التي كان لها خمسة أزواج، وتابت وكرزت به (يو4) . وأطال أناته علي المجدلية التي أخرج منها سبعة شياطين:" وَبَعْدَمَا قَامَ بَاكِراً فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلاً لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ الَّتِي كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ" (مر16:9). فتبعته وهي التي بشرت التلاميذ بالقيامة.

كما أطال أناته على الابن الضال، الذي كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد:" لأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ لأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ" (لو15: 24: 32).

كما بالأكثر أطال أناته علي شاول الطرسوسى الذي اضطهد الكنيسة بعنف، وحوله إلي رسول عظيم وكارز. هذا الذي قال عن نفسه:

"أنا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً. وَلَكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ ايمَانٍ" (1تي1:13). وقال "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: انَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ اوَّلُهُمْ أَنَا.لَكِنَّنِي لِهَذَا رُحِمْتُ: لِيُظْهِرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا اوَّلاًكُلَّ أَنَاةٍ، مِثَالاً لِلْعَتِيدِينَ انْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (1تي1: 15: 16) .

وبالمثل أطال الله أناته علي أريانوس والي أنصنا في عهد دقلديانوس، الذي كان أكثر الولاة تعذيباً للمسيحيين .. وبطول أناة الله عليه، آمن وصار شهيداً.

كما أطال الله أناته حتى تاب خطاة كثيرين وصاروا قديسين. نذكر من بينهم أوغسطينوس الذي تاب وترهب وصار أسقفاً، وكتب تأملات عميقة انتفعت بها الأجيال من بعده، وموسى الأسود الذي تاب وصار أباً للرهبان، وقدوة في المحبة والوداعة . كذلك مريم القبطية التي تابت من زناها، وصارت من السواح، وباركت زوسيما القس.

إن طول أناة الله علي الخطاة يتضح من تلك الشجرة التي ما كانت تعطي ثمراً، وكانت علي وشك أن تقطع. ولكن قيل عنها: "فَأَجَابَ: يَا سَيِّدُ اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضاً حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَراً وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا" (لو13 :8، 9).

الفصل السادس

من مظاهر محبة الله للإنسان

من مظاهر محبة الله للإنسان، محبة الآب وتتبين من خلال الخلق، والإعداد للخلاص، إرسال الإبن الوحيد، ومحبته كراعٍ للبشر. كما تتجلى مظاهر محبة الله الإبن خلال تجسده وإخلاء ذاتة، والصلب والآلام، كما دعانا أبناء له كراعٍ، ودعانا عروس له وأحبابه. وأعد لنا الحياة الأبدية. كذلك محبة الله الروح القدس من خلال التعليم والإرشاد، وعمله من خلال الأسرار، والتبكيت والحث على التوبة والرجوع.

أولاً : محبة الله الآب

بالطبع أن الله هو جوهر واحد وأقانيمه غير منفصلة بل متحدة في الجوهر الواحد ولكن كما أوضح لنا الكتاب المقدس أن لكل أقنوم دور خاص في محبة الإنسان وإن اشترك معه الأقانيم الأخرى بحسب الجوهر الواحد ففى العهد القديم رغم الدور الرئيسي لله الآب إلا إننا

نجد ظهورات ورموز ونبوات كثيرة للإبن وإعلانات كثيرة للروح القدس وعلاقته بالأنبياء ... كذلك في الخلاص الذى تم بواسطة الله الإبن نجد دور الآب وشهادته للإبن وإرساله إياه وعمل الروح القدس في الحبل البتولي وفى العماد المقدس لحسابنا ... كذلك فى الكنيسة الأولى ورغم الدور الرئيسى لأقنوم الروح القدس إلا إن عمل الآب والإبن كان مستمراً.

الله واحد مثلث الأقانيم وذلك ما أراد الوحي أن يعلن لنا لذلك سوف ندرس محبة الله من خلال صفاته أو أقانيمه الثلاثة وعملهم المشترك في محبة الإنسان وسنبدأ بأقنوم الله الآب الذي ظهرت محبته للإنسان في الأمور التالية:

(1) **الخلق:** كما قلنا سابقاً إنه ليس هناك سبب لخلق الله للإنسان سوى أن الله محبة. من مظاهر محبة الله للإنسان في الخلق أنه :

(أ) خلق الإنسان علي صورته ومثاله

لقد خلق الله الإنسان سيدًا علي الأرض، ومتسلطًا على كل ما عليها وما تحتها، ما في البحار وما في الهواء. لقد توّج الله خليقته الأرضية بخلق الإنسان لا كخليقة وسط مخلوقات بلا حصر، وإنما علي صورته ومثاله، وأقامه سيدًا علي الخليقة الأرضية.

لقد أكد الكتاب المقدس تلك المحبة التي ظهرت من الله في خلق الإنسان علي صورته ومثاله من الشواهد التالية: "وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ" (تك1 : 26) .. مؤكدًا " فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (تك1 :27).

لقد خلق الله الإنسان على صورته ليقبل خالقه صديقًا له، يتجاوب معه لا علي مستوى المذلة والضعف وإنما علي مستوى الحرية والحب والصداقة. لقد خلق الله الإنسان علي صورته ومثاله ليكون وارثًا لله ووارثًا مع المسيح، شريكًا معه في المجد الأبدي حتى بعد السقوط نسمع السيد المسيح كلمة الله يقول: "لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي" (يو15:15).

لقد خلق الله الإنسان مميزاً إياه بأن خلقه علي صورته ومثاله حيث أعطاه العقل الناطق مميزاً إياه عن الكائنات الأخرى ... كذلك علي صورته ومثاله في الخلود فليس هناك خليقة أخرى على الأرض لها الخلود سوى الإنسان ... كذلك في السيادة والسلطة ولكن الفرق إن الإنسان خلوده وعقله وسيادته ممنوحة من قبل محبة الله. ولقد تأمل العلامة أوريجانوس في محبة الله في خلق الإنسان فقال:" لاحظ

كيف يوجد في خلق الإنسان أمر سام جدًا لا نجده في خلق آخر، فخلق الله الإنسان على صورته ومثاله، الأمر الذي لا نجده في خلق السماء أو الأرض أو الشمس أو القمر. الذي صُنع علي صورة الله هو إنساننا الداخلي غير المنظور، غير الجسدي، غير المائت وغير الفانى. بهذه السمات الحقيقية تتصف صورة الله وبها تُعرف".

(ب) خلقه سيداً ومتسلطاً

خلق الله الإنسان كملك على الخليقة، خلق كل شيء من أجله وأعطاه سلطانًا، إذ قال:" وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ" (تك1 :28). لم يخلقه كائنًا خانعًا في مذلة إنما أراده صاحب سلطان على نفسه كما على بقية الخليقة.

(جـ) خلقه بعد أن أعد له كل شئ

نقول في القداس الإغريغوري "أنه لم يجعلنا معوزين شيئًا من أعمال كرامته" ... فمن محبة الله للإنسان أعد له ما يأكل وما يشرب وما ينظر بل وعندما رأى الله أنه يوجد شيئاً ناقصاً لدى أبينا آدم خلق له حواء لتكون معيناً نظيره .. بل والأكثر من ذلك لقد كسا الرب الإله

أبوينا الأولين بثوب القداسة والبر حتى أنهما كانا عريانين وهما لا يخجلان كما يشهد سفر التكوين.

- أعد له الخلاص:" وَلأَجْلِ أَنَّهُ أَحَبَّ آبَاءَكَ وَاخْتَارَ نَسْلَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَخْرَجَكَ بِحَضْرَتِهِ بِقُوَّتِهِ العَظِيمَةِ مِنْ مِصْرَ" (تث4 :37). ويقول أيضاً:" بَل مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ وَحِفْظِهِ القَسَمَ الذِي أَقْسَمَ لِآبَائِكُمْ أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ العُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ" (تث7 :8) . كذلك يقول الوحى:" وَلكِنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا التَصَقَ بِآبَائِكَ لِيُحِبَّهُمْ فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هَذَا اليَوْمِ" (تث10 :15). كما يقول الوحى أيضاً:" وَلكِنْ لمْ يَشَإِ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ يَسْمَعَ لِبَلعَامَ فَحَوَّل لأَجْلِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ اللعْنَةَ إِلى بَرَكَةٍ لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ أَحَبَّكَ" (تث23 :5) .

- محبته كراعٍ: من أمثلة محبة الله لنا كثيراً ما شبه الكتاب المقدس علاقتنا بالله علاقة راعٍ بخرافه ومدى محبة الراعي لغنمه. وفي ذلك يقول السيد الرب في العهد القديم:" أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بِعَدْلٍ" (حز34 : 15، 16). أيضاً يقول الكتاب المقدس:" كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسَطِ غَنَمِهِ الْمُشَتَّتَةِ، هَكَذَا أَفْتَقِدُ غَنَمِي وَأُخَلِّصُهَا مِنْ

جَمِيعِ الأَمَاكِنِ الَّتِي تَشَتَّتَتْ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْغَيْمِ وَالضَّبَابِ" (حز34 :12).

في العهد الجديد نجد السيد المسيح يقول:" أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ" (يو10 :11). "... وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي" (يو10 :28). ومن أمثله محبة الراعي في تحننها، قول الكتاب عن السيد المسيح أنه تحنن علي الخروف الضال، إذ خرج يبحث عنه حتى وجده، وحمله على منكبيه، "أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ وَأَضَاعَ وَاحِداً مِنْهَا أَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَذْهَبَ لأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحاً" (لو15 :4، 5) إنها المحبة .

ثانياً : محبة الله الابن

- **التجسد وإخلاء ذاته:**

يقول القديس يعقوب السروجي:" الحب جذب الرب وأنزله من مسكنه وخلطه بالناس، ليكون السيد صاحباً لعبيده ... بالحب نزل ابن الله من عند أبيه، وصار إنساناً واحتمل آلام الصليب، الحب حبسه داخل البطن وداخل القبر وهو الابن الجبار الذي الخليقة قائمة بقدرته"

كما يقول أيضاً:" أي ملك كان له قوة أن يفعل هكذا وأن يسلم ابنه عوض المسبيين ليردهم، من من الأغنياء يسهل عليه أن يبد غناه على المتصدقين من أجل حبه لكي يغنيهم ؟! من يعطي ابنه ضحية ليصير ذبيحاً عوض الخطاة ليأتي بهم إلي التوبة".

- **الصلب والآلام .**

يقول الرسول بولس:" وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رو5 :8). ويقول القديس يوحنا:" بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ" (1يو3 :16). ويقول أيضاً:" بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ" (1يو4 :9). ويقول أيضاً:" فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (1يو 4 : 10). وكذلك يقول:" وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي لِلَّهِ فِينَا. اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ" (1يو4 : 16).

"لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو3 :16). ويقول الإنجيل المقدس" لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو 15: 13).

ويقول القديس بولس:" اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا" (اف2 : 4). والقديس بولس يقول:" مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غل2 : 20) .

" أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى" (يو13 :1).

- **الفداء والخلاص .**

كَمَا يَقُولُ فِي هُوشَعَ أَيْضاً: «سَأَدْعُو الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي وَ الَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً " (رو9 :25). ويقول أيضاً: "وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ. الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ" (رؤ 1 : 5) .

- أعد الرب لنا الأبدية فى ذلك يقول الكتاب المقدس:" أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ " (يو17 :24). بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (1كو2 :9) .

- محبة السيد المسيح لنا نابعة من محبة الآب للابن. فى ذلك يقول السيد المسيح:" وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ» " (يو17 :26) .
- دعانا أبنائه بالتبنى. فمن أهم العلامات التي تنم عن الحب الشديد، علاقة الأب بابنه، والابن بأبيه. لذا لم يجد الله لقباً أو لفظاً إنسانياً يدل على محبته للابن الوحيد ومحبته للبشر سوى لفظ "الآب". فعلاقة الابن بابنه هي علاقة حب دائم ومستمر، حب ببذل وتضحية. لذا اختار الآب السماوي أن يرسل ابنه الحبيب لكي يُصلب عن البشر لكي يوضح للبشر عُمق محبة الله للجنس البشري "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا" (غل1 :4).

لذا سوف نبحث موضوع أبوة الله في النقاط التالية:

(أ) **الله أب لنا:** كثيراً ما يشهد الكتاب المقدس بأن الله أب لنا نحن الجنس البشرى. هكذا شهد السيد المسيح الذي ردنا إلي بنوتنا الضائعه لله. وقد تكررت شهادة السيد المسيح بأن الله أبونا فقط في الموعظة على الجبل حوالي ثلاث عشرة مرة في الشواهد التالية:"(مت5 :16)،(مت5 :48)،(مت6 :1)،(مت6 :4)،(مت6 :6)،(مت6 :8)،(مت6 :9)،(مت6 :14)،(مت6 :15)،(مت6 :18)،(مت6 :26)،(مت6 :32)،(مت7 :11)،(مت7 :21).

بل لقد علمنا السيد المسيح أن نفتتح كل صلواتنا بالصلاة الربانية:" فَقَالَ لَهُمْ: مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (لو11 : 2). كما أن السيد المسيح في أحاديثه الكثيرة عن أبوة الله لنا بين محبة الله لنا ورعايته كأب عندما قال:" لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ" (مت10 :20). وفى قوله أيضاً:" أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ" (مت10 :29) .

كما يقول الإنجيل المقدس:" هَكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةً أَمَامَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ" (مت18 :14) . بل لقد جعل السيد المسيح من الملكوت ملكوت أبنا حينما قال:" حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ" (مت13 :43). وقد فرق السيد المسيح بين أبوة الله لنا وكل أنواع الأبوة الأخرى حينما قال:" وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت23 :9) .

لقد وضع السيد المسيح مطالب لكي نستحق تلك الأبوة .. فلكي ننالها يجب علينا الإيمان بالمسيح ... يجب أن نكون متشبهين بأبينا السماوي في المغفرة "وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى

أَحَدٍ شَيْءٌ لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلاَّتِكُمْ" (مر11 :25) .

وقال أيضاً:" وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لاَ يَغْفِرْ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَيْضاً زَلاَّتِكُمْ" (مر11 :26) .. في الرحمة "فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ" (لو6 :36) .. كما أننا مطالبون بالكمال "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت5 :48). كما أننا مطالبون بالقداسة كما أن أبانا السماوي قدوس وكامل.

ما أجمل عبارة السيد المسيح للمرأة نازفة الدم:" يَا ابْنَةُ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ"(مر5 :34)،(لو8 :48). كذلك عبارة التعزية التي قالها السيد المسيح في إنجيل لوقا:" لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ" (لو12 :32).

كما أن القديس بولس الرسول قد أبرز أبوة الله لنا فتكاد لا تخلو رسالة من رسائله الأربعة عشرة من افتتاحية بأن يعطيهم السلام دامجاً كلمة الله بأبينا وعلي سبيل المثال "نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (1كو1 :3)،(في1 :2)،(كو1 :2)،(2تس1 :1)،(2تس1 :2)،(1تس1:1)،(1تي1 :2)،(فل1 :3)، (في4 :20)، (1تس1 :3)، (1تس3 :11). والقديس بولس الرسول قد أوضح لنا

بركات تلك الأبوة ومنها الثقة وعدم الخوف " إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ!» " (رو8 :15) .

لكن يجب أن نفرق بين أبوة الآب للابن وأبوة الآب لنا ... فهو الابن الوحيد ونحن أبناء بالتبنى. هو الابن الوحيد لأنه من جوهر الآب فهو الله مولود من الآب قبل كل الدهور. لذا نجد السيد المسيح له كل المجد أراد أن يوضح لنا الفرق عندما قال لمريم المجدلية فجر أحد القيامة:" قَالَ لَهَا يَسُوعُ «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلَكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ»" (يو20 :17). فالسيد المسيح أراد أن يميز بين بنوتنا نحن وبنوته الوحيدة للآب لذا لم يقل " أبينا" ولكنه قال "أبي وأبيكم" هناك فرق بالتأكيد ..

يجب أن نلاحظ أن أبوة الله لنا لم تكن في العهد الجديد فقط بل أبوة الله ومحبته لنا دائمة منذ خلقنا لذا نسمع سفر التكوين يقول قبيل الطوفان "أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأُوا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا" (تك6 :2). وكما يشهد سفر الحكمة:" لكي تكون الارض التي هي اكرم عندك من كل ارض عامرة بابناء الله كما يليق بها:" فعلت ذلك أيها الرب لتكون الأرض التي هي اعز عليك من كل ارض موطنا لائقا بأبناء الله" (الحكمة12 :7).

لقد تمني وتنبأ هوشع النبي قائلاً:" لَكِنْ يَكُونُ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُكَالُ وَلاَ يُعَدُّ وَيَكُونُ عِوَضاً عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: لَسْتُمْ شَعْبِي يُقَالُ لَهُمْ: أَبْنَاءُ اللَّهِ الْحَيِّ" (هو1 :10). لقد خلقنا علي صورته ومثاله لكي نكون فيما بعد علي صورة ابنه في القداسة والبر.

(ب) **نحن أبناء الله:** من محبة السيد المسيح لنا صار هو ابن الإنسان لنصير نحن أبناء الله وذلك من خلال الإيمان به كما يقول القديس بولس الرسول:" لأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غل3 :26). وكما يقول القديس يوحنا الحبيب "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يو1 :12).

إن بنوتنا نحن لله الذي منحنا أياها لهي أكبر تعبير وتأكيد على محبة الله لنا "أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لاَ يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ" (1يو3 : 1). فنحن كأولاد الله يجب أن نتمثل به في المحبة وصنع والسلام:" طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ يُدْعَوْنَ" (مت5 :9).

كما نتمثل به في محبة الجميع بدون تفرقة "لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ" (مت5 :45). ما أجمل عبارة السيد

المسيح لتلاميذه والمؤمنين به "يَا أَوْلاَدِي أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ. سَتَطْلُبُونَنِي وَكَمَا قُلْتُ لِلْيَهُودِ: حَيْثُ أَذْهَبُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا أَقُولُ لَكُمْ أَنْتُمُ الآنَ" (يو13 :33) .

بل أن هذه البنوة من محبة الله سوف تدوم وتستمر في الأبدية هكذا يقول السيد المسيح "إِذْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضاً لأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ" (لو20 :36). كذلك هذه البنوة سبباً وشرطاً لكي نرث مع السيد المسيح "فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ" (رو8 :17). فبفضل محبة الله وبنوتنا له يقول الكتاب أننا سنكون مثل السيد المسيح:" أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (1يو3 :2). بالتأكيد ليس مثله في الإلوهة، ولا علي مستوي بنوة الابن الوحيد لأبيه. ولكن مثله في المجد والنور حسب ما هو يهب علينا ويمنحنا.

كما يطلق القديس بولس الرسول علي أمجاد الأبدية والملكوت حرية مجد أولاد الله "لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضاً سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ" (رو8 :21). فبنوتنا لله مشروطة بالإيمان بالسيد المسيح وبأن نحبه ونحفظ وصاياه "بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نُحِبُّ أَوْلاَدَ اللهِ: إِذَا أَحْبَبْنَا اللهَ وَحَفِظْنَا وَصَايَاهُ" (1يو5 :2). وإن كان الآب والابن

يشتركان في بنوتنا لله كذلك الروح القدس الذي يشهد لنا "اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضاً يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ" (رو 8 : 16).

إن الله يريد دائماً أن يذيب الحاجز الذي وضعه الإنسان فيما يتعلق بعلاقة العبودية. ولأن الله يريد أن العلاقة بينه وبين الإنسان تكون علاقة حب وود وتفاهم لذا نراه مراراً وتكراراً يدعو اللهُ الإنسانَ ابناً.

(ت) نحن إخوة للمسيح: ليس هناك حباً أكثر من هذا بأن نُدعي نحن التراب والرماد أخوة للمسيح. يجوز عندما نكون نحن أبناء لله وهو أبونا يكون هناك تمييز ولكن أن يضعنا على قدم المساواة بأن يطلق علينا أخوته، هذه محبة لا نستحقها. والشواهد كثيرة منها قول بولس الرسول:" لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رو8 :29) . كما السيد المسيح نفسه صرح قائلاً "لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي" (مت12 :50)،(مر3 :35)،(لو8 :21). وفي نفس الموقف نسمع في الإنجيل "ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي" (مت12 :49).

بل والأفضل من ذلك يطلق السيد المسيح علي الفقراء والمساكين لقب إخوته "فَيُجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت25 :40). فالكنيسة إلى الآن تطلق علي المساكين والفقراء "أخوة الرب، أو أخوة يسوع الأصاغر" .

كما نجد بعد قيامة المسيح وظهور مجده نجد المسيح يقول للمريمات "فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لاَ تَخَافَا. اذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي»" (مت28 :10). هكذا قال لمريم المجدلية في ظهور آخر "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلَكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ»" (يو20 :17) .

نحن أخوة للمسيح وذلك بسبب تجسده وأنه صار ابن الإنسان، وذلك فضل كبير من محبة الله لنا. من أجل ذلك يجب أن نتشبه نحن بمن تفضل ودعانا أخوة له وذلك أن نكون مشابهين له في المحبة والبذل والتضحية والقداسة والبر حسب طاقتنا الإنسانية. بل والأكثر من ذلك فمن مظاهر محبة الله لنا ليس فقط أنه دعانا أولاده أو أحبابه. فالبنوة والأخوة فيها فصل وإنما أيضاً من محبته أنه أراد أن نلتصق ونتحد به.

(ث) دعانا الرب يسوع أحبائه، وذلك كما قال:" لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي" (يو15:15). ويقول القديس يعقوب:" لاَ تَضِلُّوا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ" (يع 1 : 16). وقال الرب يسوع نفسه:" أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو17 :23). ويقول القديس بولس:" وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَاللهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيّاً وَرَجَاءً صَالِحاً بِالنِّعْمَةِ" (2تس2 :16) .

(ج) جعلنا أعضاء لجسده (المسيح) وهيكل الله لكى يسكن فينا.

يقول السيد المسيح "أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو17 :23)، "وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو17 :26). نلاحظ في الآيتين السابقتين العلاقة الوثيقة بين محبة الله وسكناه فينا.

ويقول الرسول بولس "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غل2 :20). ويقول أيضاً "وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ

بِسَبَبِ الْبِرِّ" (رو8 :10). وأيضاً:" يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ" (غل4 :19). " الَّذِينَ ارَادَ اللهُ انْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هَذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ" (كو1 :27). ليس فقط أن المسيح فينا بل نحن أيضاً في المسيح "بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ" (في3 :8،9). والقديس يوحنا يقول:" وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقّاً فِي هَذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ اللهِ. بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ" (1يو2 :5).

وسائل الثبات في المسيح

قد بين الكتاب المقدس وسائل الثبات فى المسيح حيث قال الرب:" مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو6 :56). أيضاً:" مَنِ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ، فَاللهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللهِ" (1يو4 :15). أيضاً:" وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي لِلَّهِ فِينَا. اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ" (1يو4 :16)، "وَمَنْ يَحْفَظْ وَصَايَاهُ يَثْبُتْ فِيهِ وَهُوَ فِيهِ. وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فِينَا: مِنَ الرُّوحِ الَّذِي أَعْطَانَا" (1يو3 :24) ..

هكذا وضعت لنا الآيات السابقة أربع وسائل لهذا الثبات المتبادل(في الله والله فينا) وهم الإيمان – المحبة – حفظ الوصايا – التناول من جسد الرب ودمه. مع ملاحظة أنه لا يمكن لبشري أن يتحد باللاهوت أي بطبيعة اللاهوت أو جوهره أو أحد أقانيمه. فالشخص الوحيد الذى تم فيه اتحاد اللاهوت بالناسوت هو السيد المسيح، فى بطن العذراء مريم. أما نحن البشر فإن الذي يحدث لنا فهو حالة حلول للنعم والمواهب، كما نقول في قطع الساعة الثالثة للروح القدس "هلم تفضل وحل فينا". وكما يقول الرسول بولس "لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ" (اف3 :17). ويقول القديس بطرس الرسول "إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ، لأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ. أَمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ فَيُجَدَّفُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مِنْ جِهَتِكُمْ فَيُمَجَّدُ" (1بط4 :14). وكما نقول في سفر الرؤيا "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ وَيَخْدِمُونَهُ نَهَاراً وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ" (رؤ7 :15) .

(ح)أعد الرب يسوع لنا الملكوت السماوى:

يقول القديس يعقوب:" اسْمَعُوا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، أَمَا اخْتَارَ اللَّهُ فُقَرَاءَ هَذَا الْعَالَمِ أَغْنِيَاءَ فِي الإِيمَانِ، وَوَرَثَةَ الْمَلَكُوتِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ؟" (يع2 :5) .كما يقول القديس بولس:" بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ»" (1كو2 :9).

الفصل السابع

كيف نصل الى محبته الله

عندما يتسأل شخص قائلاً كيف نحب الله؟ وكيف نحب من لانعرفه؟. هناك عدة خطوات تصل بالإنسان المؤمن إلي محبة الله. أولى هذه الخطوات يجب علينا أن:

1. نعرفه ونتقرب إليه، ونتحدث معه، ونتأمل فيه، ونتحد به.

لكي نحب الله يجب أن نتعرف عليه وذلك خلال قراءة الكتاب المقدس حيث نتعرف على صفات الله، على قوته وقدرته، على محبته وعطفه، نتعرف على وصاياه، نتعرف على كيفية علاقته بالبشر، وماذا يطلب منا. كذلك من خلال الكتاب المقدس نسمع صوت الله ونرى ونختبر كم هو جميل وطيب ورءوف فنحبه. فهل من أحد يسمع صوت الله القائل:" تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت11 :28). أو قوله:" هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ"(اش1 :18). من يسمع صوت الله هذا ولا يحبه ويأتي إليه ؟!.

نتعرف على الله من خلال أنبيائه وقديسيه الذين أحبوه ودخلوا في علاقة محبة معه فنتعرف على ما قالوا عنه .. نتعرف من خلالهم على اختبارتهم الشخصية معه. نتعرف على الله من خلال كشفه وإظهاره تلك المعرفة لنا كما يقول الكتاب:" إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ" (رو1 :19).

نتعرف على الله من خلال الطبيعة، من خلال الشمس وضوئها وحرارتها، من خلال المياه وقدرتها علي الإنماء، من خلال النباتات والأزهار واختلاف أنواعها وألوانها وأطوالها، من خلال الحيوانات واختلاف قوتها وسرعتها وذكائها، من خلال الفضاء واتساعه وثباته، نتعرف علي كل ذلك فنتعرف على قوة الله وقدرته.

نتعرف على الله أيضاً من خلال الاختبارات الشخصية في حياتنا اليومية وكيف يحفظنا ويسترنا ويعيننا، نتعرف على الله من خلال كل ذلك فنحبه.

هناك وسيلة قد تكون سلبية أو نقول عنها بدايات لكى نصل إلي معرفة الله، وهى أن نبتعد عن أخطائنا وزلاتنا، فحيث توجد الخطية لامكان لمعرفة الله وذلك حسب ما رد على فم القديس بولس الرسول:" هَادِمِينَ ظُنُوناً وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (2كو10 :5).

إن معرفة الله هذه يطلبها الله أكثر من المحرقات والذبائح كما يقول هوشع النبي "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ" (هو6 :6). لذا وجب علينا أن ننمو في تلك المعرفة ولا نتوقف عند نقطة معينه فالله غير محدود كذلك معرفته أيضاً غير محدودة "لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضىً، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ" (كو1 :10). فمعرفتنا لله تدفعنا دفعاً إلي الوسيلة الثانية في كيفية الوصول إلي محبة الله وهي:

2. نتقرب (نقترب) إلى الله.

نقترب إلى الله بالذهاب إلي بيته والتعرف على عروسه (الكنيسة) وأولاده (المؤمنين) وخدامه (الكهنة). كما نقترب إلى الله من خلال أسراره المقدسة، سر التوبة والاعتراف، فنتطهر ونتقدس حتى يجوز لنا الاقتراب إلى الله كما تشترط الشريعة:" لَكِنْ إِلَى الْحِجَابِ لاَ يَأْتِي وَإِلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَقْتَرِبُ لأَنَّ فِيهِ عَيْباً لِئَلَّا يُدَنِّسَ مَقْدِسِي لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُهُمْ" (لا21 :23). لذلك نتقرب إلي الله من خلال وسائط النعمة التي نمارسها داخل كنيسته من اجتماعات وقداسات وصلوات.

نقترب إلى الله ليس بأجسادنا فقط بل بقلوبنا وأرواحنا ليس كما عاتب الرب شعبه قديماً قائلاً "يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً" (مت15 :8). نقترب إليه بمخافة

وقداسة كما يشترط الكتاب المقدس:" وَلْيَتَقَدَّسْ أَيْضاً الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمِ الرَّبُّ"(خر 19: 22).

إن التقرب إلى الله من نتائجه اقتراب الله بنفسه إلينا:" اِقْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ" (يع4 :8). وينتج عن معرفة الله والتقرب منه الخطوة والوسيلة الثالثة من وسائل محبتنا لله.

3. نتحدث مع الله

لا محبة لله خارج دائرة الصلاة ... فالصلاة هي ترمومتر محبتنا لله. فإن أردت أن تعرف مقياس محبة أي شخص لله يكون ذلك من خلال كم وعُمق صلواته. فالإنسان الذى لا يُصلى، لا يوهم نفسه أنه يحب الله، لأن الصلاة هي علامة الحب بيننا وبين الله، خاصة الصلاة الفردية لذا يوصينا السيد المسيح:" وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً" (مت6 :6). فالصلاة الفردية عبارة عن علاقة محبة شخصية مع الله.

نحن نسمع عن السيد المسيح وهو بالجسد أنه:" وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ لِلَّهِ"(لو6 :12). لكي يعلمنا السيد المسيح أهمية الصلاة للوصول للحب. كذلك

يجب أن تُمارس الصلاة بحب لذا عرفها السيد المسيح على أنها علاقة بين ابن وأبيه:" فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ" (مت6 :9).

هناك وجه آخر للحب في الصلاة وهي الصلاة من أجل الآخرين. من أجل المرضى والمسافرين. بل من أجل الأعداء والمسيئين. هكذا علمنا السيد المسيح أن الصلاة محبه للآخرين والمسيئين:" وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلاَّتِكُمْ"(مر11: 25). ومرة أخري يوصينا قائلاً:" وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مت5 :44). فلا يستطيع أحد أن يمارس الصلاة الدائمة التي أوصى بها السيد المسيح:" وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ" (لو18 :1). وكما قال الرسول بولس:" صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ" (1تس5 :17). لا يمكن لأحد أن يصل إلي هذه الصلاة إلا من خلال الحب، فبدون الحب لا يمكن أن يستمر أحداً في الصلاة.

إن الصلاة التى تكون دافعها الحب، تكون من نتائجها الحب أيضاً. فمن خلال الصلاة تنفتح أذهاننا وتتحرر أجسادنا وتتسع مداركنا فنحس ونشعر بوجود الله خالقنا ويُنعم علينا بهباته السمائية، وكأننا

انتقلنا من الأرض إلى السماء فيكون ذلك أفضل طريق للوصول إلي محبة الله.

لاشك أن البداية قد تكون الصلاة بتغصب وبمحاولة مواظبة دائمة:" وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ"(كو4 : 2). ولكن لا يمكن أن تستمر الصلاة بالتغصب، ويجب أن يتدخل الحب، والصلاة هي التي سوف تلد الحب، عندما نشعر من خلال الصلاة أننا نحصل على المغفرة ونقاوة القلب وحياة القداسة والطهارة، وذلك من وجودنا في الحضرة الإلهية وبنقاوة القلب لا نصل فقط إلي محبة الله فقط بل إلي رؤيته بحسب ما تستطيع طبيعتنا البشرية:" طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت5 :8) .

4. التأمل فى الله ومحبته وأعماله.

لقد نصح الله أيوب البار بالتأمل قائلاً "أُنْصُتْ إِلَى هَذَا يَا أَيُّوبُ وَقِفْ وَتَأَمَّلْ بِعَجَائِبِ اللهِ" (اي37 :14). وداود النبي يخاطب الله قائلاً "تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقِدَمِ. لَهَجْتُ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ. بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ" (مز143 :5). كذلك فأن الحكيم يشوع بن سيراخ ينصح ويقول:" فتامل تجد جميع أعمال العلي اثنين اثنين، الواحد نقيض الآخر" (سيراخ33 :15). كما يقول أيضاً:" تأمل في أوامر الرب، وفكر في وصاياه كل حين، فهو يمنحك ثبات القلب، ومن الحكمة يعطيك ما

تشتهيه" (سيراخ6 :37). ويقول كذلك:" طوبى للرجل الذي يتامل في الحكمة و يتحدث بها في عقله"(سيراخ14 :22).

إن التأمل في الله، وفي صفاته يولد فينا محبة قوية لله، وخاصة التأمل في محبته. نحن عندما نتأمل في صفة محبة الله لنا يمتلئ قلبنا بمحبة كبيرة لله. فإن أردنا أن نصل إلي محبة الله ونقتنيها علينا بالتأمل في محبة الله التي ظهرت في الخلق، وفي تدبير الخلاص وفي التجسد والفداء وفي ملكوته الذى أعدها لنا .

إن التأمل في محبة السيد المسيح لنا وآلامه عنا، كفيلة أن تملئ قلبنا بمحبته والعرفان له والثقة فيه. ليتنا نقرأ ونتأمل في الأناجيل الأربعة ونبحث في عبارات ومواقف الحب من السيد المسيح نحو البشرية وكيف كان يتحنن ويعطف ويجول يصنع خيراً، وعندئذ سوف يمتلئ قلبنا حباً لله وللقريب والبعيد بل وللأعداء.

كذلك التأمل في حياة رجال الله وكيفية اتكالهم على الله المحب كما يقول الكتاب:" انظروا الى الاجيال القديمة و تاملوا هل توكل احد على الرب فخزي" (سيراخ2 :11). المحبة ليست فقط هي التي يمكن أن نتأمل فيها، بل هناك صفات كثيرة لله يمكننا أن نتأملها فنحبه. فليس كل الناس ميولهم واحدة. ولا كل الصفات يمكن أن تجذب كل

شخص. ليتنا نتأمل في قوته وقدرته، نتأمل في حفظه وحراسته لنا، نتأمل في ملكوته وأبديته.

أيضاً التأمل فى الطبيعة، في الكون والفضاء، في النبات وكيفية نموه، في الحيوان والطير وكيفية غذائه، يولد فينا مشاعر الحب لله فى ذلك يقول سفر الحكمة:" ان جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم لم يقدروا ان يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة و لم يتاملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها" (الحكمة13 :1). فالتأمل في الطبيعة يولد فينا الإيمان بالله ومن خلاله نصل إلي الحب، فليس حب بدون إيمان.

التأمل يأتي بتحديد وقت للخلوة والانفراد وذلك لقراءة الكتاب المقدس والصلاة والتأمل من خلالهما. كذلك يأتي بالخروج المنفرد إلي الجبال والأديرة، وإلى الحقول والمزارع والأنهار، والتأمل فيما حولنا. فالتأمل يأتي بالدخول إلي أعماق قلوبنا واكتشاف الله الموجود بداخل تلك الأعماق لكي نتأمل فيه.

5. يجب أن ندخل في علاقة مع الله.

إن الدخول في العلاقة مع الله من أهم العوامل التي تساعد على محبة الله، ذلك من خلال الاشتياق إليه والشعور به ومناجاته على الدوام، واللجوء إليه في كافة الأمور ومحبة المكوث فى حضرته

وتحت ظل جناحيه، وهذا يأتى بالصلاة الدائمة وحياة الطهارة والقداسة.

الدخول في علاقة روحية مع الله يستوجب الانفصال عن أية محبة أخرى، عدا محبة الله والاكتفاء بالله وعدم الحاجة أو العطش لأي من أمور العالم سواء كانت خطية أو تسلية أو حتى أشياء نخالها صالحة .. بمعنى أشمل الشبع بالمسيح وفي المسيح ...

وهذه المشاعر الجميلة لا نقتنيها بمجهودنا الفردي ولا بتدريب معين ولكن هذه المشاعر مصدرها وفاعلها هو الله نفسه والروح القدس وذلك عندما يجد عندنا الاستعداد واتخاذ الخطوات الأولى اللازمة في الوصول إلي هذه العلاقة الروحية مع الله .

(1) نتحد فيه (نرتبط به)

الاتحاد بالمسيح مثلما قال الكتاب عن سر الزيجة المقدس "لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداًوَاحِداً"

(تك2 :24) ، (مت19 :5) ، (مر10 :7) ، (اف5 :31) ...
هو اتحاد علي المستوى الروحي وذلك من خلال سر الافخارستيا كما قال السيد المسيح "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو6 :56) ...

الاتحاد بالمسيح بأن نكون هياكل لسُكني الروح القدس "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟" (1كو3 :16) .

"أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟" (1كو6 :19) ..

لذا وجب علينا أن نحافظ علي هذا الهيكل لئلا نسمع "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ" (1كو3 :17) ..

نتحد بالمسيح أن نكون أعضاءه علي المستوى الروحي "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَآخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا !" (1كو6 :15) ..

أعضاء المسيح علي المستوى الروحي ومن خلال الاتحاد بالسيد المسيح في سر الافخارستيا ...

(2) نبذل أنفسنا من أجله

البذل هو قمة الحب ... هو الذي يجلب لنا محبة الله .. فالسيد المسيح قال بفمه الطاهر "لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو15 :13).

أول مرحلة من مراحل البذل هى أن نترك من أجل محبتنا لله. نترك ولو أشياء بسيطة في البداية، ليكن ترك بدايتنا الخطية، ترك المسليات، ترك الضروريات. كما أن الترك يأتي تدريجياً.

الخطوة التالية التي تتبع الترك هي التبعية للسيد المسيح كما قال القديس بطرس بلسان التلاميذ للسيد المسيح:" فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟"(مت19 :27)،(مر10 :28)، (مر10 :28).

كما أن التبعية تليها البذل والاستعداد للتضحية حتى الموت كما فعل آباؤنا الشهداء والمعترفين ولباس الصليب.

ليتنا نتعلم البذل ولو مع الخطية فنموت عنها ونجاهد ضدها حتى الموت كما قال القديس بولس الرسول "لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" (عب12 :4). فعندما ننفصل عن الخطية نكون قد متنا عن العالم لنحيا لله وحينئذٍ سوف تأتي محبة الله وكل الخطوات السابقة سوف تأتي بسهولة ويسر.

الفصل الثامن

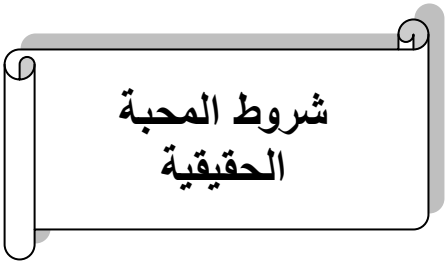

على الرغم من أن الحب يجب أن يكون غير مشروط كما قال أحد الآباء:" أحب الله وافعل ما شئت". ولكن الكتاب المقدس يعلمنا:" تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ" (ام14 :12)، (ام16 :25)... ولكي نطمئن علي أنفسنا في طريق الحب لذا سوف نُحصي بعض الصفات التي وضعها الكتاب المقدس لعلاقة الحب بين الإنسان والله كلى الحب. لذلك يجب معرفة أن هذه الصفات أو الشروط لن نصل إليها مرة واحدة ولكن نصل إليها بالتدريج. كما يجب أن نعلم أيضاً أن هناك بعضاً من الشروط لن نستطيع الوصول إليها بالكمال المطلق لأن الله غير محدود ومحبته أيضاً غير محدودة ولكن علينا أن نسير في الطريق وننمو فيه إلى أن نصل الأبدية وهناك سوف نستقى الحب المطلق حسب ما يفيض به علينا مصدر الحب. لذلك من شروط أو صفات محبتنا لله كما قال الكتاب المقدس هى على النحو التالى:

❖ محبة من كل القلب.

القلب هو مركز المشاعر والأحاسيس والوجدان والله هو فاحص القلوب والكُلى "أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى" (ار17 :10). وكما قال الله نفسه لصموئيل النبي في قصة اختيار داود ومسحه ملكاً:" لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ. لأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ" (1صم16 :7). لذا فهو يطلب الحب من كل القلب وذلك خلال كل الكتاب المقدس ففي سفر التثنية نسمعه يقول:" تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ" (تث6 :5). كما يقول:" فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلا أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طُرُقِهِ وَتُحِبَّهُ وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ"(تث10 :12). كما يقول أيضاً:" ثُمَّ إِنْ طَلَبْتَ مِنْ هُنَاكَ الرَّبَّ إِلهَكَ تَجِدْهُ إِذَا التَمَسْتَهُ بِكُلِّ قَلبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ" (تث4 :29). أيضا يقول الرب فى سفر التثنية:" هَذَا اليَوْمَ قَدْ أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ تَعْمَل بِهَذِهِ الفَرَائِضِ والأَحْكَامِ. فَاحْفَظْ وَاعْمَل بِهَا مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ" (تث26 :16). كما يتابع سفر التثنية قائلاً:" وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلبَكَ وَقَلبَ نَسْلِكَ لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا" (تث30 :6) .

كما نجد داود النبي في مزاميره وصلواته يركز علي كل القلب في

العبادة والصلاة فنجده يقول:" أَحْمَدُ الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِي" (مز111 :1). كذلك يقول:" بِكُلِّ قَلْبِي طَلَبْتُكَ. لاَ تُضِلَّنِي عَنْ وَصَايَاكَ" (مز119 :10). كما يقول:" فَهِّمْنِي فَأُلاَحِظَ شَرِيعَتَكَ وَأَحْفَظَهَا بِكُلِّ قَلْبِي" (مز119 :34). وكذلك يترنم:" تَرَضَّيْتُ وَجْهَكَ بِكُلِّ قَلْبِي. ارْحَمْنِي حَسَبَ قَوْلِكَ" (مز119 :58). كما يقول أيضاً:" أَمَّا أَنَا فَبِكُلِّ قَلْبِي أَحْفَظُ وَصَايَاكَ"(مز119 :69). ويقول كذلك:" لِيَكُنْ قَلْبِي كَامِلاً فِي فَرَائِضِكَ لِكَيْ لاَ أَخْزَى"(مز119 :80). كما يطلب قائلاً:" صَرَخْتُ مِنْ كُلِّ قَلْبِي. اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ. فَرَائِضَكَ أَحْفَظُ" (مز119 :145). كما يشكر:" أَحْمَدُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي. قُدَّامَ الآلِهَةِ أُرَنِّمُ لَكَ"(مز138 :1).

كما نجد سفر الأمثال أيضاً يركز علي القلب قائلاً:" يَا ابْنِي لاَ تَنْسَ شَرِيعَتِي بَلْ لِيَحْفَظْ قَلْبُكَ وَصَايَايَ"(ام3 :1). ويقول:" لاَ تَدَعِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ يَتْرُكَانِكَ. تَقَلَّدْهُمَا عَلَى عُنُقِكَ. اُكْتُبْهُمَا عَلَى لَوْحِ قَلْبِكَ"(ام3 :3). ويطلب من جميعنا:" تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ" (ام3 :5)، "وَكَانَ يُرِينِي وَيَقُولُ لِي: «لِيَضْبِطْ قَلْبُكَ كَلاَمِي. احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا" (ام4 :4). كذلك يقول:" لاَ تَبْرَحْ عَنْ عَيْنَيْكَ. اِحْفَظْهَا فِي وَسَطِ قَلْبِكَ" (ام4 :21)، "فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ"(ام4 :23).ويقول:" اُرْبُطْهَا عَلَى قَلْبِكَ دَائِماً. قَلِّدْ بِهَا عُنُقَكَ"(ام6 :21). وكذلك يقول:" وَوَجِّهْ قَلْبَكَ إِلَى مَعْرِفَتِي" (ام22 :17). كما يأمرنا قائلاً:" وَجِّهْ قَلْبَكَ إِلَى الأَدَبِ وَأُذُنَيْكَ إِلَى كَلِمَاتِ الْمَعْرِفَةِ" (ام23 :12). ويقول:" يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ

طُرُقِي" (ام23 :26). وفى سفر النشيد سفر الحب بين الله والنفس البشرية الذي يعتبره الآباء قدس أقداس الكتاب المقدس يعطي مكاناً عظيماً للقلب في علاقة الحب فالحبيب يخاطب حبيبته:" قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ. قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي" (نش4 :9). والعرروس تخبر عريسها:" أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ. صَوْتُ حَبِيبِي قَارِعاً"(نش5 :2). كما تقول أيضاً:" اِجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لأَنَّ الْمَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ" (نش8 :6).

والسيد المسيح له كل المجد استشهد بما جاء في سفر التثنية عندما سُئل عن أول الوصايا فأجاب قائلاً:" وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى" (مر12 :30)، (مت22 :37). حتي أن السائل أجاب بعد ذلك قائلاً:" وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ" (مر12 :33).

كما أن السيد المسيح جعل من القلب مركزاً أو مصدراً للأعمال الصالحة والأعمال الشريرة:" اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ" (مت12 :35). ويقول الرب:" وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنَ الْقَلْبِ يَصْدُرُ وَذَاكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ " (مت15 :18). كذلك يقول

السيد المسيح:" لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ: قَتْلٌ زِنىً فِسْقٌ سِرْقَةٌ شَهَادَةُ زُورٍ تَجْدِيفٌ" (مت15 :19). كما يقول السيد المسيح:" من فضلة القلب يتكلم اللسان" "يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ" (مت12 :34)،(لو6: 45).

على نفس المنوال قال الحكيم يشوع بن سيراخ:" حراثة الشجر تظهر من ثمرها كذلك تفكر قلب الانسان يظهر من كلامه" (سيراخ27 :7). كذلك سفر الأعمال أيضاً يوضح مركز القلب في الإيمان، فنجد فيلبس الرسول يقول لوزير كنداكة ملكة الحبشة:" إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ"(اع8 :37) .

كما أن القديس برنابا الرسول أوصى المؤمنين أن "يَثْبُتُوا فِي الرَّبِّ بِعَزْمِ الْقَلْبِ" (اع11 :23). كما يذكر أيضاً:" وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً" (اع4 :32).

كذلك الرسول بولس أيضاً استفاض في أهمية القلب في الإيمان والطاعة والعبادة والحب فنجده يقول "بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ" (رو2 :29). كذلك يقول:" فَشُكْراً لِلَّهِ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ

عَبِيداً لِلْخَطِيَّةِ وَلَكِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا" (رو6 :17). أيضاً يقول:" ظَاهِرِينَ أَنَّكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ، مَخْدُومَةً مِنَّا، مَكْتُوبَةً لاَ بِحِبْرٍ بَلْ بِرُوحِ اللهِ الْحَيِّ، لاَ فِي أَلْوَاحٍ حَجَرِيَّةٍ بَلْ فِي أَلْوَاحِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ" (2كو3 :3). ويقول أيضاً:" كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ" (2كو9 :7) . ويقول:" لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اَللهِ مِنَ الْقَلْبِ" (اف6 :6). كما يقول أيضاً:" وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ" (كو3 :23). كما يقول:" وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ رِيَاءٍ" (1تي1 :5). ويقول:" لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ " (عب10 :22).

يقول سفر التثنية أن التوبة والرجوع إلي الله يشترطها الكتاب فى أنها يجب أن تكون من كل القلب، فيقول:" إِذَا رَجَعْتَ إِلى الرَّبِّ إِلهِكَ بِكُلِّ قَلبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ" (تث30 :10). كما يقول:" وَرَجَعْتَ إِلى الرَّبِّ إِلهِكَ وَسَمِعْتَ لِصَوْتِهِ حَسَبَ كُلِّ مَا أَنَا أُوصِيكَ بِهِ اليَوْمَ أَنْتَ وَبَنُوكَ بِكُلِّ قَلبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ" (تث30 :2).

أيضاً إرميا النبي يقول:" وَأُعْطِيهِمْ قَلْباً لِيَعْرِفُونِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فَيَكُونُوا لِي شَعْباً وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً لأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيَّ بِكُلِّ قَلْبِهِمْ" (ار24

:7). ويقول أيضاً:" وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ" (ار29 :13).

يوضح السيد المسيح أهمية القلب العلاقة الروحية بين الإنسان فيقول "يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ" (مت12 :34). ويقول أيضاً:" يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً"(مت15 :8).

كما يوضح السيد المسيح أن فعل الخطية يبدأ من القلب "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (مت5 :28). كذلك يقول بفمه المبارك:" لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً" (مت6 :21)، (لو12 :34).

لكن كيف يستطيع الإنسان أن يحب الرب من كل القلب ... وأين هي محبة القريب؟!. ألا يجب أن نحبه من القلب؟! وأين المشغوليات؟! هل في مقدور الإنسان المحدود الضعيف أن يصل إلي حب الله من القلب؟!. يمكننا أن نقول:

أولاً: أن الوصية لا يمكن أن يعطيها لنا الله إلا إذا كانت في استطاعتنا.

ثانياً: لا يمكننا أن نصل إلي محبة الرب من كل القلب مرة واحدة بل بالتدريج.

أما عن محبة القريب فيجب أن تكون من خلال محبة الله ولا تزيد عليها كما قال السيد المسيح:" مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي"(مت10 :37). أول شئ يمكن أن نعمله في محبتنا لله من كل القلب أن ننفصل عن أية محبة معادية لمحبة لله، كما يعلمنا الحكيم يشوع ابن سيراخ:" اقلع عن ذنوبك و قوم اعمالك و نق قلبك من كل خطيئة" (سيراخ38 :10). بمعنى أوضح أن نبتعد عن أي خطية تتعارض مع محبة الله مثل محبة المال أو الشهوة أو محبة العالم ففي ذلك يعلمنا السيد المسيح:" لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ" (مت6 :24).

إن لم نستطع أن نحب الرب من كل القلب فليس أقل من أن نحبه بقلب نقى:" طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت5 :8). ويقول المزمور:" إِنَّمَا صَالِحٌ اللهُ لإِسْرَائِيلَ لأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ" (مز73 :1). كذلك نحبه بقلب سليم:" احبوا العدل يا قضاة الارض و اعتقدوا في الرب خيرا و التمسوه بقلب سليم"(الحكمة1:1). نحبه بقلب مستقيم:" نُورٌ قَدْ زُرِعَ لِلصِّدِّيقِ وَفَرَحٌ لِلْمُسْتَقِيمِي الْقَلْبِ" (مز97 :11).

كما نحبه بقلب ثابت:" تروا في اوامر الرب و في وصاياه تامل كل حين فهو يثبت قلبك و ينيلك ما تتمناه من الحكمة"(سيراخ6 :37). وكذلك نحبه بقلب جيد "وَٱلَّذِي فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ هُوَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ وَيُثْمِرُونَ بِالصَّبْرِ" (لو8 :15).

كما نحبه بقلب جديد:" وَأُعْطِيكُمْ قَلْباً جَدِيداً، وَأَجْعَلُ رُوحاً جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ" (حز36 :26). ونحبه بقلب واحد:" وَأُعْطِيهِمْ قَلْباً وَاحِداً وَطَرِيقاً وَاحِداً لِيَخَافُونِي كُلَّ الأَيَّامِ لِخَيْرِهِمْ وَخَيْرِ أَوْلاَدِهِمْ بَعْدَهُمْ" (ار32 :39) .

إن لم نستطع ذلك فليس أقل من أن لانشرك أحداً آخر مكانه أو معه في الحب:" لا تعاص مخافة الرب و لا تتقدم اليه بقلب و قلب" (سيراخ1 :36). كما يقول الكتاب:" القلب الساعي في طريقين لا ينجح و الفاسد القلب يعثر فيهما"(سيراخ3 :28). كذلك يقول:" لا تتقلب مع كل ريح و لا تسر في كل طريق فانه كذلك يفعل الخاطئ ذو اللسانين" (سيراخ5 :11).

على الأقل مبدأ المحبة من كل القلب موجود ونشتهيه ونسعي في الحصول عليه فلا تكون ضعفاتنا وخطايانا عائقاً في طريق هذه المحبة بل مؤشراً لضعف المحبة لله ومحبة الله لنا. لنختبر حنو الله علينا وشفقته بنا وستره لنا، ولنعرف كم هو مستحق أن نحبه من كل

القلب كما يقول السيد المسيح في حادثة المرأة الخاطئة في بيت سمعان:" مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً" (لو7 :47). فمعظم الذين وصلوا لمحبة الله من كل القلب هم أولئك الذين شعروا بمحبة الله الذي غفر لهم خطاياهم الكثيرة أمثال القديس أغسطينوس والقديس موسى الأسود والقديسة بائيسة والقديسة تاييس والقديسة بيلاجية.

ثانياً: يجب علينا أن نبدأ وننمو في محبة الله من كل القلب وذلك من خلال الصلاة الدائمة ونقاوة القلب وتنفيذ الوصية. أما بالنسبة للمشغوليات والمسئوليات فقد رآينا داود النبي وكيف أنه بجوار مسئولية المُلك وقيادة الجيش يركز على كل القلب في عبادته وصلواته. فالمشغولية يمكن أن تكون مشجعاً وليس معطلاً عن محبتنا لله وذلك بأن نضعها في يد الله ونصلي من أجلها. ونعملها من خلال محبة الله ومحبة القريب والمخدومين ومن هم تحت مسئوليتنا.

هل نبتعد عن الخدمة والعطاء لأجل محبة الرب من كل القلب؟!. كلا بالطبع ولكن علينا أن نخدم ونعطي بمحبة لله وللقريب وذلك كما يقول سفر الخروج عن واجب الخدمة لهرون رئيس الكهنة ووجوب بأن يحمل الرعية بحب في قلبه:" فَيَحْمِلُ هَارُونُ أَسْمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

فِي صُدْرَةِ الْقَضَاءِ عَلَى قَلْبِهِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْقُدْسِ لِلتِّذْكَارِ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً" (خر28 :29).

كذلك يقول:" وَتَجْعَلُ فِي صُدْرَةِ الْقَضَاءِ الأُورِيمَ وَالتُّمِّيمَ لِتَكُونَ عَلَى قَلْبِ هَارُونَ عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ. فَيَحْمِلُ هَارُونُ قَضَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى قَلْبِهِ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً" (خر28 :30). كذلك يقول في العطاء بأنه يجب أن يكون من القلب:" كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا لِي تَقْدِمَةً. مِنْ كُلِّ مَنْ يَحِثُّهُ قَلْبُهُ تَأْخُذُونَ تَقْدِمَتِي" (خر25 :2). **ويقول أيضاً:**" ثُمَّ جَاءَ كُلُّ مَنْ أَنْهَضَهُ قَلْبُهُ وَكُلُّ مَنْ سَمَّحَتْهُ رُوحُهُ بِتَقْدِمَةِ الرَّبِّ لِعَمَلِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَلِكُلِّ خِدْمَتِهَا وَلِلثِّيَابِ الْمُقَدَّسَةِ" (خر35 :21).

هناك أناس وصلوا إلي محبة الله من كل قلبهم أولهم آبائنا الشهداء والمعترفين الذين رضوا بسفك دمهم من أجل اسم المسيح ... ثانياً آباؤنا النساك والرهبان ولُباس الصليب كما نقول عنهم في قسمة الصوم إنهم سكنوا في المغائر والجبال وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح .

❖ محبة من كل الفكر.

الفكر ليس بعيد عن القلب .. فالقلب يشعر ويحس والفكر يترجم هذا الشعور في هيئة فكر، فالأفكار سواء الصالحة أو الشريرة فهي نابعة من القلب والأدلة على ذلك من الكتاب المقدس كثيرة منها كلام السيد

المسيح:" لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ" (مت9 :4).ويقول الإنجيل:" فَشَعَرَ يَسُوعُ بِأَفْكَارِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: مَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِكُمْ" (لو5 :22). كذلك يقول:" فَعَلِمَ يَسُوعُ فِكْرَ قَلْبِهِمْ وَأَخَذَ وَلَداً وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ" (لو9 :47).

كما نجد القديس بطرس الرسول يخبر سيمون الساحر قائلاً:" فَتُبْ مِنْ شَرِّكَ هَذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ" (اع8 :22).

والكتاب المقدس يبين كيف أن السيد المسيح الله الكلمة المتجسد عرف فكر الإنسان في أكثر من موقف منها قول الكتاب:" فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ فَقَالَ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟"(مت9 :4)،(لو5 :22). ويقول أيضاً:" فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ أَنَّكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزاً؟"(مت16 :8)،(مر8 :17). كذلك يقول الإنجيل:" فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ" (مر2 :8).

فالله الذي هو وحده يعرف الأفكار قبل أن تكون يطالبنا بأن نحبه من كل الفكر. فالله لا يهمه كثيراً المظاهر أو الشكل الخارجي ولكن مايهمه هو داخلنا أو ما نفكر فيه. لذا نسمع الكتاب المقدس يقول "كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ

الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ" (2كو9 :7). لذا نرى السيد المسيح يؤكد علي وصية حب الرب الإله من كل الفكر "وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى" (مر12 :30)،(لو10 :27).

كما أن القديس بولس الرسول يوصينا قائلاً "كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ"(1كو1 :10). ويقول أيضاً:" وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ" (1كو2 :16)، "وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (2كو10 :5). كذلك يقول:" فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْراً وَاحِداً وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئاً وَاحِداً" (في2 :2)، "فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً" (في2 :5).

لكن كيف نصل إلي محبة الله من كل الفكر ؟! وهل نستطيع ألا نفكر سوى في الله ؟!. نعم، يوجد أناس قد وصلوا إلي محبة الله من كل فكرهم، ولم يستطيعوا أن يفكروا سوى في الله. مثال لذلك القديس يوحنا القصير الذي مرة جاءه جمال ليحمل أوعيته. فلما دخل ليحضر له الضفائر نسيها لأنه كان مشغولاً بالتأمل في المناظر الإلهية –فقرع الجمال الباب فخرج إليه ونسي مرة أخرى – فقرع مرة ثالثة، فخرج إليه ثم دخل وهو يقول:" الضفائر للجمال، الضفائر للجمال". وقد حدث مثل هذا مع نفس القديس بخصوص القفف. ولكننا لسنا جميعاً مطالبون بهذا المستوى من قداسة الفكر ولكننا

مطالبون بوصية الكتاب المقدس إن أردنا محبة الله من كل الفكر وذلك بالصلاة كل حين كما أوصانا السيد المسيح "وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ" (لو18 :1). ويقول الإنجيل:" اِسْهَرُوا إِذاً وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الإِنْسَان" (لو21 :36).

فإن أردنا تقديس الفكر لمحبة الرب الإله فعلينا بالصلاة فهي وحدها تستطيع تقديس فكرنا في محبة الله، وإن لم نستطع الصلاة كل حين فليس أقل من أن نقوم بما علينا من قانون روحي نأخذه من آباء اعترافنا.

القراءة أيضاً تساعد على تقديس الفكر وتخصيصه لله وخاصة قراءة الكتاب المقدس والتأمل في محبة الله وقراءة سير القديسين وكيفية محبتهم لله، فكما قال بعض الآباء:" قراءة الكتب تُقوِّم العقل الطواف". كذلك" تعب الجسد بكثرة القراءة، ينقى العقل". كما يقول أحد الآباء:" إذا رجعت إلي خزانتك اهتم بقراءةالكتب الإلهية والصلاة ولا تتفرغ لشغل اليد وحده فتنس ذكر الله خالقك". وكذلك يذكر:" إذا جلست في خزانتك فاقرأ بتعقل وتفهم، وفكر في تمجيد الله". أيضاً:" أن التأمل في الكتب حرز عظيم يحفظ الإنسان من الخطية ويستميله إلي عمل البر".

كما يقول أحد الآباء:" الإنسان (الراهب) الذى يكون في خزانته غير ذاكر الله تعالى ولا قارئ في الكتب يكون كالبيت الخرب خارج المدينة الذي لا تفارقه الجيف النتنة".

كذلك بجانب الصلاة والقراءة علينا بالتأمل في صفة محبة الله خاصة وصفات الله عامة. فهذا التأمل من خواصه أن يضئ فكرنا ويبعد عنا الأفكار الشريرة ويساعدنا على تقديس الفكر ومحبة الله من كل الفكر. المهم أن نشغل فكرنا في أشياء مفيدة فكما علمنا الآباء:" العقل الفارغ معمل للشيطان". عمل اليد أيضاً يساعدنا على عدم إنشغال الفكر بأمور بعيدة عن محبة الله. كذلك حضور القداسات واجتماعات الكنيسة تساعدنا على تقديس الفكر.

❖ من كل النفس

يُقصد بالنفس الروح الإنسانية وهي أعم وأشمل من القلب والفكر فهى تخص كل ما بداخل الإنسان وهي الجانب الذي يخص الروحيات التي ترتبط إرتباطاً وثيقاً بمحبة الله. وهذا هو الفرق بين النفس (الروح) الإنسانية وكون الحيوانات أنفس حية فالنفس الإنسانية مصدرها نفخة من الله عكس الحيوانات التي قُيل عنها "وَقَالَ اللهُ: لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا. وَكَانَ كَذَلِكَ" (تك1 :24). كذلك الجسد بدون تلك

الروح الإنسانية لا يزيد شيئاً عن الحيوان ولو أن الحيوان قد وضع فيه غريزة الحب نراها في الأمومة أو العائلة ولكن الفرق بيننا وبين الحيوان هو أن الحيوان لا يستطيع أن يحس بحب الله عكس الإنسان الذي نفخ فيه الله تلك الروح الإنسانية لذا فهو دائماً يميل ويشتاق بروحه الإنسانية إلي الله مصدر هذه الروح الإنسانية. لذا فمن حق الله أن نحبه من كل النفس ومن كل الروح الإنسانية.

كثيراً ما يطلق الكتاب المقدس على الانسان ككل نفس وجسد لفظ "**نفس**" حتى في لغتنا الدارجة كثيراً ما نقصد بـ" النفس" الإنسان ككيان واحد. وربما يقصد السيد المسيح بالنفس الإنسان ككل نفس وجسد. فالإنسان كيان واحد متكامل جسداً وروحاً يكمل كل منهما الآخر. فعندما نتكلم عن الروح الإنسانية لا يمكننا أن نفصلها عن الجسد. فالجسد أيضاً قد خلقه الله وقد قِيل عن خلق لله للإنسان جسداً وروحاً:" وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدّاً "(تك1 :31). فالمقاومة بين الجسد والروح التي تكلم عنها بولس الرسول دخيلة على كيان الإنسان الواحد نتيجة للسقوط والخطية ولكن السيد المسيح باتخاذه جسداً لم يُعطنا فقط إمكانية الرجوع إلي طبيعتنا التي خلقنا بها الله بل وإمكانية أن نكون هيكل الله وأعضاء المسيح.

فالمطلوب منا أن نحب الله بكل كياننا روحاً وجسداً . أولاً بأن لا أجعل أعضاء المسيح أعضاء زانية كما قال الرسول بولس .. كذلك

بأن نقدم أعضاءنا آلات بر لله. كذلك يقول السيد المسيح:" فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا" (مر8: 35). كما يقصد بالنفس الإنسان ككيان واحد روحاً وجسداً ولا يقصد بالهلاك هنا المعنى الحرفي لأنه يتنافى مع الخلاص ولكن يقصد بالهلاك هنا الخلاص من الإنسان العتيق وأعماله الرديئة.

❖ من كل القدرة.

هذا الشرط أو الطلب في محبة الله له وجهان:

الوجه الأول: هو شرط محبة الله بأقصى ما في مقدرتنا والله مستحق لهذا الحب بفضل حبه لنا .. يكفي أن نتذكر محبة السيد المسيح وعمله الخلاصي وما تخلله من آلام وصلب ...

الوجه الثانى: هو أن نحب الله حسب طاقتنا لا أكثر. فالله يطالبنا بما في مقدرتنا، المهم أن نعرف ونميز بين ما هو في مقدرتنا وما هو فوق طاقتنا.

إن محبة الله بكل القدرة يتخلل الصلاة والصوم والقراءة وكافة الوسائط الروحية التى ينبغى أن نعملها بحب. فأى عمل روحي بدون حب سوف لا نكسب منه سوى التعب الجسدي والنفسى. لكن الحب يولد

فينا تعزية في كل أمورنا الروحية. كما أوضح السيد المسيح في مواقف أخرى بعض الشروط والصفات والأخرى ومنها

❖ حفظ الوصايا.

لكي لا تُفهم المحبة علي طريق الخطأ أنها دعوة للتسيب والإنحلال، لذا ركز السيد المسيح في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل القديس يوحنا الحبيب علي حفظ الوصايا كشرط للمحبة. فالوصية هي التي تنظم المحبة وترشدها لذا نجد السيد المسيح يقول:" إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ" (يو14 :15). ويقول أيضاً:" اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِى"(يو14 :21). كما:" إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً" (يو14 :23). كما يقول الرب:" اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كلاَمِي. وَالْكلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو14 :24)." أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ" (يو15 :14).

ويسير القديس يوحنا الحبيب نفسه على نفس النهج في رسائله المملوءة حباً فنجده يقول:" وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ، أَنْ نَسْلُكَ بِحَسَبِ وَصَايَاهُ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ، كَمَا سَمِعْتُمْ مِنَ الْبَدْءِ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا"

(2يو1 :6). ويقول أيضاً:" وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقّاً فِي هَذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ اللهِ" (1يو2 :5).

ولكي يبين السيد المسيح علاقة الحب بحفظ الوصية نجده يقول لتلاميذه:" وَلَكِنْ لِيَفْهَمَ الْعَالَمُ أَنِّي أُحِبُّ الآبَ وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ. قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ هَهُنَا" (يو14 :31). بل أن القديس يوحنا الحبيب يربط بين محبة القريب ومحبة الله وحفظ الوصية في قوله "بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نُحِبُّ أَوْلاَدَ اللهِ: إِذَا أَحْبَبْنَا اللهَ وَحَفِظْنَا وَصَايَاهُ" (1يو5 :2).

كما أن العهد القديم نفسه يربط بين محبة الله وحفظ وصاياه بل ويجعل منهما معنً واحد ونجد أن الله يحب حافظي وصاياه ويظهر ذلك من الشواهد المقدسة التالية:

- "وَأَصْنَعُ إِحْسَاناً إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ"(خر20: 6) .
- "الحَافِظُ العَهْدَ وَالإِحْسَانَ لِلذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ إِلى أَلفِ جِيلٍ" (تث7 :9) .
- " فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلا أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طُرُقِهِ وَتُحِبَّهُ وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ" (تث10 :12) .

- " إِذْ حَفِظْتَ كُل هَذِهِ الوَصَايَا لِتَعْمَلهَا كَمَا أَنَا أُوصِيكَ اليَوْمَ لِتُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ كُل الأَيَّامِ فَزِدْ لِنَفْسِكَ أَيْضاً ثَلاثَ مُدُنٍ عَلى هَذِهِ الثَّلاثِ" (تث19 :9) .
- "وَقُلْتُ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ السَّمَاءِ الإِلَهُ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ الْحَافِظُ الْعَهْدَ وَالرَّحْمَةَ لِمُحِبِّيهِ وَحَافِظِي وَصَايَاهُ" (نح1 :5) ..

محبة الله وحفظ وصاياه كل منهما يؤدي للآخر فعندما أحفظ وصايا الله يؤدي ذلك إلي محبتي لله ومحبة الله لي ... وعندما أحب الله يؤدي بي ذلك إلي محبة وصاياه وحفظها وحب كل ما يتعلق بالله. إن حفظ وصايا الله هي ترجمة عملية لمحبتنا لله.

❖ الثبات في المحبة

الثبات في المحبة شرط أساسي في محبتنا لله فكثيرون من الذين بدأوا بالمحبة لم يستطيعوا أن يكملوا ومن أمثلة هؤلاء ديماس الذي قال عنه بولس الرسول "لأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي اذْ احَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ" (2تي4 :10). وفي سفر الرؤيا يقول الروح لملاك إحدى الكنائس السبع:" لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى"(رؤ2 :4).

من أمثلة عدم الثبات في المحبة أيضاً شاول الذي كُتب عنه "فَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى شَاوُلَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ، فَأَحَبَّهُ جِدّاً وَكَانَ لَهُ حَامِلَ سِلاَحٍ" (1صم16 :21). ولكنه لم يثبت في هذه المحبة وأراد بعد ذلك قتل

داود كما لم يثبت شاول ذلك في محبة الله الذي اختاره ملكاً علي شعبه وقد رفضه الله بعد ذلك.

وقد أوصانا السيد المسيح بالثبات في محبته في قوله المبارك "كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذَلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. اثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي" (يو15 :9). وفي قول آخر يربط بين حفظ الوصية والثبات في محبته قائلاً:" إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ" (يو15 :10).

❖ الإيمان ومحبة الابن

لا توجد محبة لله بعيداً عن محبة المسيح والإيمان كونه ابن الله الوحيد الذي أحبنا وبذل نفسه لأجلنا. فالسيد المسيح يعلل محبة الآب لنا بمحبتنا له وإيماننا فيه بقوله "لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ لأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي وَآمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ" (يو16 :27) .

نفس الكلام يقوله القديس يوحنا الحبيب في رسائله "كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ. وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضاً" (1يو5 :1). بل ويلخص نفس القديس هذا الشرط ويجزمه في قوله "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُحِبُّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا. مَارَانْ أَثَا" (1كو16 :22).

كيف لي أن أحب الله وأنا لا أؤمن ولا أصدق محبته التي أظهرها لنا في ابنه الوحيد. إن الإيمان بالابن وعمله الخلاصى وما ظهر من خلاله من حب لنا لهو دافع كبير لمحبتنا لله. لقد كان من أهم أهداف التجسد والفداء الذي قام به الابن الوحيد هو أن يُظهر لنا الله محبته "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو3 :16).

كما يقول القديس يوحنا الحبيب "بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ" (1 يو4 :9،10).كذلك كان من أهداف التجسد والفداء أن يحثنا علي محبته "نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً" (1يو4 :19). فمن لا يؤمن بالابن كيف تصل إليه محبة الله. من لا يستطيع أن يؤمن بتجسد الله وصلبه وآلامه هو ذاك الذي لا يؤمن ولا يصدق بمحبة الله.

إن الإيمان بالله الكلمة المتجسد وعمله الخلاصي وما تخلله من صلب وآلام قد غير عندنا نحن المؤمنين مفهوم محبة الله لنا فقد عرفنا أنه "لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو15 :13). بدون محبة المسيح ومحبته لا يجرؤ أحد على محبة الله.

❖ المحبة هى محبة للقريب والبعيد.

لقد قال القديس يوحنا الحبيب "إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ" (1يو4 :20) . وقال أيضاً "وَلَنَا هَذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضاً" (1يو4 :21).

ويقول القديس يوحنا الحبيب أيضاً "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً" (1يو4 :11) . لقد أحبنا اللّه رغم عدم استحقاقنا لحبه، فكم بالأولى نلتزم نحن بحب إخوتنا مهما يكن طبعهم أو حالهم أو تصرفاتهم تجاهنا.كما يعتبر القديس يوحنا الحبيب محبتنا للقريب تكميل لمحبتنا لله "إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً فَاللهُ يَثْبُتُ فِينَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا" (1يو4 :12) .

إن محبتنا للقريب والبعيد تعني نقاوة قلوبنا وبهذا تنجلي من قلوبنا أي غشاوة داخلية يمكنها أن تفصلنا عن معاينة محبة الله لنا. كذلك بمحبتنا لأخوتنا نكون قد نفذنا وصية الله مبرهنين علىمحبتنا له.

الفصل التاسع

علامات المحبة العملية

هناك عدة علامات هى تعبير وترجمة عملية لوصية المحبة التى هى أساس البنيان فى الحياة الروحية. من هذه العلامات، أو الخطوات العملية ما يلى.

أولاً: مظاهر محبة الإنسان لله

هناك عدة مظاهر لمحبة الإنسان لله، تتضح لنا على النحو التالى:

1. البذل والتضحية(حمل الصليب)

الحب الإلهي هو أعظم وسيلة تُسهل لنا صلب الذات، فحبنا للرب يسوع يتضح في مقدار تضحيتنا وفي مقدار ما نبذل أو نخسر من أجل يسوع:" بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ"(في3 :8). فالمسيحية هي حياة حب للذي أحبنا حتي المنتهى.

إن السيد المسيح عندما سأل القديس بطرس الرسول بعد القيامة: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: ارْعَ خِرَافِي" (يو21 :15). كما حدث ذلك ثلاث مرات لتأكيد شرط الخدمة لمن يحب المسيح. إن الإنسان المحب للمسيح يجب أن يتمثل بمن يحبه الذي قُيل عنه "كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِير ٍينَكَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةًعَنْ كَثِيرِينَ" (مت20 :28)،(مر10 :45). كما قال هو عن نفسه "لأَنْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ؟ أَلَّذِي يَتَّكِئُ أَمِ الَّذِي يَخْدِمُ؟ أَلَيْسَ الَّذِي يَتَّكِئُ؟ وَلَكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدِمُ" (لو22 :27) .

إن خدمة المسيح هى تبعية للمسيح .. تبعية لمن نحب وفي هذا قال السيد المسيح بفمه المبارك "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآبُ" (يو12 :26) .

لذلك يجب أن تكون محبة المسيح هى هدف كل خدمة. فالخدمة بدون حب لا تنتهي إلا بالتعب أو اليأس أو حب الذات أو التشاجر علي الرياسات أو حتي ترك الخدمة نهائياً.

كما يجب أن يكون الهدف الذي يحرك الكاهن أو الخادم للخدمة هو حبه للمصلوب وارتباطه بالذي مات من أجله فينظر لكل إنسان آتٍ إليه كشخص موصى عليه من رب المجد نفسه الذي صُلب عنه. بل وينظر للفقير والعريان كشخص المسيح ذاته العريان والمصلوب من أجلنا. وينظر للخاطئ كشخص المسيح حامل خطية كل الخطاة. فخدمة المسيح وأولاده ليست عن عبودية بل عن محبة ولأن المحبة أبدية لذا ستستمر معنا خدمة المسيح كمكافأة لنا فى الأبدية، خدمة الحب، خدمة التسبيح. هكذا نقرأ في سفر الرؤيا:" مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ وَيَخْدِمُونَهُ نَهَاراً وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ" (رؤ7 :15). ويقول أيضاً:" وَلاَ تَكُونُ لَعْنَةٌ مَا فِي مَا بَعْدُ. وَعَرْشُ اللهِ وَالْحَمَلِ يَكُونُ فِيهَا، وَعَبِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ"(رؤ22 :3). فالإنسان الذي يحب يتمنى أن يكون عبداً لمن يحب لكي يخدمه ويكون دائماً بجواره هكذا هي خدمتنا للسيد المسيح هنا على الأرض وفى السماء أيضاً.

2. محبة العطاء

يقول الكتاب المقدس:" كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ" (2كو9 :7) .

ثانياً: مظاهر محبة الإنسان لأخيه الإنسان

هناك عدة شروط لمحبتنا بعضنا لبعض، من هذه الأمور:

1. المحبة فلتكن بلا رياء.

يقول الكتاب المقدس علي لسان بولس الرسول "اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ" (رو12 :9). كما يقول "فِي طَهَارَةٍ، فِي عِلْمٍ، فِي أَنَاةٍ، فِي لُطْفٍ، فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ، فِي مَحَبَّةٍ بِلاَ رِيَاءٍ" (2كو6 :6). ويقول أيضاً:" بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ الْمَسِيحُ"(اف4 :15).

كما يقول أيضاً "طَهَّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ، فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ" (1بط1 :22). فالمحبة المسيحية يجب أن تكون صادقة لأن مصدرها الله الصادق الأمين. يجب أن تنبع المحبة من الداخل من الروح القدس الذي يعلمنا بنفسه المحبة الصادقة وكيف تكون. فالمحبة الصادقة الخالية من الرياء يجب أن يصاحبها العمل وترجمة هذه المحبة إلي أفعال كما يقول الرسول بولس:" يَا أَوْلاَدِي، لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ !"(1يو3 :18).

كما يقول القديس يوحنا الحبيب "وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟" (1يو3 :17). وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول "لأَنَّ اللهَ لَيْسَ

بِظَالِمٍ حَتَّى يَنْسَى عَمَلَكُمْ وَتَعَبَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَظْهَرْتُمُوهَا نَحْوَ اسْمِهِ، إِذْ قَدْ خَدَمْتُمُ الْقِدِّيسِينَ وَتَخْدِمُونَهُمْ" (عب6 :10) ... وكما يقول أيضاً "مُتَذَكِّرِينَ بِلاَ انْقِطَاعٍ عَمَلَ إِيمَانِكُمْ، وَتَعَبَ مَحَبَّتِكُمْ، وَصَبْرَ رَجَائِكُمْ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَمَامَ اللهِ وَأَبِينَا" (1تس1 :3) .

كما يقول القديس يوحنا:" من اَلشَّيْخُ، إِلَى كِيرِيَّةَ الْمُخْتَارَةِ، وَإِلَى أَوْلاَدِهَا الَّذِينَ أَنَا أُحِبُّهُمْ بِالْحَقِّ، وَلَسْتُ أَنَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً جَمِيعُ الَّذِينَ قَدْ عَرَفُوا الْحَقَّ" (2يو1 :1). وأيضاً:" من اَلشَّيْخُ، إِلَى غَايُسَ الْحَبِيبِ الَّذِي أَنَا أُحِبُّهُ بِالْحَقِّ " (3يو1 :1) .

فالمحبة يجب أن يكون لها تعب وترجمة عملية ليس بالكلام أو بالرياء بل بالعمل والحق. لذلك يجب أن تكون المحبة بدون رياء وبإخلاص كما يخاطب القديس بولس كنيسة كورنثوس "لَسْتُ أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ، بَلْ بِاجْتِهَادِ آخَرِينَ، مُخْتَبِراً إِخْلاَصَ مَحَبَّتِكُمْ أَيْضاً" (2كو8 :8). كما يجب أن نبين بينة محبتنا لله ولبعضنا البعض كما يقول القديس بولس الرسول لكنيسة كورنثوس أيضاً "فَبَيِّنُوا لَهُمْ، وَقُدَّامَ الْكَنَائِسِ، بَيِّنَةَ مَحَبَّتِكُمْ، وَ افْتِخَارِنَا مِنْ جِهَتِكُمْ" (2كو8 :) .

2. المحبة لا تتسبب في عثرة القريب.

الإنسان الذى يحب لايعثر غيره فى أى شىء، يقول عنا الروح القدس على لسان القديس بولس:" فَإِنْ كَانَ أَخُوكَ بِسَبَبِ طَعَامِكَ يُحْزَنُ

فَلَسْتَ تَسْلُكُ بَعْدُ حَسَبَ الْمَحَبَّةِ. لاَ تُهْلِكْ بِطَعَامِكَ ذَلِكَ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِهِ" (رو :) .. "وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ فَنَعْلَمُ أَنَّ لِجَمِيعِنَا عِلْماً. الْعِلْمُ يَنْفُخُ وَلَكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي" (كو :) .

كما أن من مظاهر الوحدة هو عدم التفرقة في المحبة بين شخص وآخر بل أن نحب الجميع كوحدة واحدة كجسد واحد وكلنا أعضاء في هذا الجسد الواحد الذي رأسه المسيح. "فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْراًوَاحِداًوَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئاًوَاحِداً" (في :).

ثالثاً: صفات المحبة بعضنا لبعض

من صفات الحبة كما وردت فى (1كو 13) هى على النحو التالى:

. المحبة تتأني وتترفق.

هذه بداية الصفات التي بدأ الرسول بولس يذكرها، أن الإنسان المحب يجب أن يكون متأنياً، لا يغضب ولا يثور بسرعة مهما كانت المثيرات الخارجية. فالتأني والترفق صفتان أحدهما صفة سلبية وهي التأني والأخرى إيجابية وهي الترفق، فالتأني هي صفة يستخدمها الإنسان مع نفسه فيتأني ولا يغضب بينما الترفق صفة يستخدمها

الإنسان مع المثيرات الخارجية فيرفق بها. فلئلا يعتقد البعض التأني أو طول البال لإغاظة المسبب أو المثير أوصى الرسول بصفة الرفق. فى هذا يقول القديس يوحنا ذهبى الفم:" لاحظوا أن طويل الأناة ليس بالضرورة يكون مترفقاً. فإن لم يكن مترفقًا يصير طول الأناة رذيلة، ويتعرض الشخص لخطر السقوط في المكر. لذلك يقدم الحب دواءً، أقصد الترفق فيحفظ الفضيلة نقيّة". كذلك طول الأناة هذه جعلها الرسول بولس من ثمار الروح القدس "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ" (غل :).

والرسول بولس أيضاً يوصينا بها كثيراً في رسائله فنسمعه يقول "فِي طَهَارَةٍ، فِي عِلْمٍ، فِي أَنَاةٍ، فِي لُطْفٍ، فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (كو :). كما يقول:" بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ" (اف :). كما يتابع قوله:" مُتَقَوِّينَ بِكُلِّ قُوَّةٍ بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ، لِكُلِّ صَبْرٍ وَطُولِ انَاةٍ بِفَرَحٍ"(كو :).

ويقول كذلك:" فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ احْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفاً، وَتَوَاضُعاً، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ انَاةٍ"(كو :). كما يقول:" لِكَيْ لاَ تَكُونُوا مُتَبَاطِئِينَ بَلْ مُتَمَثِّلِينَ بِالَّذِينَ بِالإِيمَانِ وَالأَنَاةِ يَرِثُونَ الْمَوَاعِيدَ" (عب :) .

والقديس يعقوب الرسول يوصينا أيضاً "فَتَأَنَّوْا أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلاَّحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الأَرْضِ الثَّمِينَ مُتَأَنِّياً عَلَيْهِ حَتَّى يَنَالَ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ"(يع5 :7). كما يقول "إِذاً يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعاً فِي الاِسْتِمَاعِ، مُبْطِئاً فِي التَّكَلُّمِ، مُبْطِئاً فِي الْغَضَبِ،لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللَّهِ" (يع1: ١٩، ٢٠) .

وقديماً يوصينا الحكيم يشوع بن سيراخ "كن سريعا في الاستماع و كثير التاني في احارة الجواب" (سيراخ5 :١١). ويقول أيضاً:" مع ذلك كن طويل الاناة على البائس ولا تماطله فى الصدقة"(سيراخ١٨ :٢٢). كما يوصينا من قبله الحكيم سليمان:" لاَ تُسْرِعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضَبِ لأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي حِضْنِ الْجُهَّالِ"(جا7: ٩) .

وطول الأناة لا نستخدمه فقط مع من يثيروا فينا الغضب فقط بل نستخدمه في كل أمور حياتنا. في الخدمة مثلاً يقول القديس بولس:" اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ. اعْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ. وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ انَاةٍ وَتَعْلِيمٍ" (2تي4 :2)، وكما يقول القديس يعقوب الرسول "خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالاً لِاحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالأَنَاةِ: الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِاسْمِ الرَّبِّ"(يع5 :10). فالتأني صفة من صفات المحبة نحن مطالبون بها في علاقتنا مع الآخرين ومطالبون بها في خدمتنا لهم

كما أننا مطالبون بها في حياتنا الروحية والعملية وفي كل مجالات الحياة.الذي يحب شخصاً، يتأنى عليه ولا يغضب منه بسرعة. إن محبته تجعله يطيل أناته ويصبر. إن طول الأناة هي صفة من صفات المحبة فيجب أن تُمارس بمحبة نابعة من القلب .

والكنيسة المقدسة تحثنا علي السلوك دائماً بطول الأناة بأن وضعت لنا في مقدمة صلاة باكر بضع آيات من الرسالة إلي أفسس يقول فيها الرسول "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ، أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ " (أف:) .

أيضاً بالمحبة يطيل الإنسان أناته علي الضعفاء، وصغار النفس، حسب توجيه الرسول بقوله:" شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ، أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ" (اتس:) .

كما أن طول الأناة صفة من صفات الله علي الدوام فنسمع عنه في سفر الحكمة "وانت يا الهنا ذو صلاح و صدق طويل الاناة" (الحكمة:). كذلك في سفر يهوديت "ولكن بما ان الرب طويل الاناة فلنندم على هذا و نلتمس غفرانه بالدموع المسكوبة" (يهوديت:). كما أن الحكيم يشوع بن سيراخ يقول: "فلذلك

طالت عليهم اناة الرب و افاض عليهم رحمته (سيراخ :
)

كذلك نسمع موسي النبي يقول:" الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ لكِنَّهُ لا يُبْرِئُ. بَل يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلى الأَبْنَاءِ إِلى الجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" (عد). ويشرحه المرتل بتفصيل في مزمور( ) فيقول "الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ.لاَ يُحَاكِمُ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَحْقِدُ إِلَى الدَّهْرِ.لَمْ يَصْنَعْ مَعَنَا حَسَبَ خَطَايَانَا وَلَمْ يُجَازِنَا حَسَبَ آثَامِنَا. لأَنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ. كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا". كما يقول أيضاً:" كَمَا يَتَرَأَّفُ الأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَّفُ الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ. لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ" (مز : ،).

ويؤكد القديس بطرس الرسول طول أناة ربنا في رسالتيه "إِذْ عَصَتْ قَدِيماً، حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ" (بط :). ويقول أيضاً:" وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاَصاً، كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضاً بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ" (بط :).

والقديس بولس الرسول يوضح طول أناة ربنا معه فيقول "لَكِنَّنِي لِهَذَا رُحِمْتُ: لِيُظْهِرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا اوَّلاً كُلَّ أَنَاةٍ، مِثَالاً لِلْعَتِيدِينَ انْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (تي ١: ١٦). والقديس يوحنا ذهبي الفم يمتدح جداً صفة طول الأناة هذه قائلاً "وإذا قارنا طول الأناة بمدينة حصينة وجدناها أكثر حصانة منها. فهي سلاح ماضٍ وقلعة حصينة، يمكن بسهولة أن تقف ضد كل المضايقات. وكما أن الشرارة البسيطة إذا ما سقطت في جب لا تؤذي بل تنطفئ سريعًا. هكذا كل ما يسقط على النفس الطويلة الأناة سرعان ما يتلاشى، وأما النفس فلا تضطرب. لأنه بالحق ليس هناك أقوى من طول الأناة. قد تتكلم عن الجيوش والأموال والخيول والحصون والأسلحة أو أي شيء يمكن أن يوجد، هذا كله يمكن للغضب أن يهزمه. ذلك لكن ليس مثل التأني. لأن من ينشغل بهذه الأمور غالبًا ما يغلبه الغضب، ويصير مكتئبًا كطفلٍ تافه، ويمتلئ بالارتباك والهياج، أما المتأني فإنه كمن في ميناء، يتمتع بهدوء مملوء تعقلاً. فإن أحاطت به الخسارة، يكون كالصخرة لا يتحرك، وإن شُتم يكون كالقلعة لا يهتز، وإن ضرب بالعصا فلن يُجرح لأنه أصلب من الماس".

يقول أيضاً القديس مقاريوس االكبير:" ❖إن طول الروح هو صبر، والصبر هو الغلبة، والغلبة هي الحياة، والحياة هي الملكوت، والملكوت هو الله".

فى ذلك سأل أخ شيخًا: إني أريد أن أستشهد من أجل الله. فأجابه:" من احتمل أخاه في وقت الشدة، فذاك أصبح داخل أتون الثلاثة فتية". وفي نفس المعنى يقول القديس موسي الأسود "من احتمل ظلمًا من أجل الرب يعتبر شهيداً".

في الاحتمال وطول الأناة حُكيَ عن الأنبا أنطونيوس في بستان الرهبان أنه قد أتى إخوة إلى القديس أنطونيوس وقالوا له "يا أبانا قل لنا كيف نخلص؟". فقال لهم:"هل سمعتم ما يقوله الرب" من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر؟".

فقالوا له: "ما نطيق ذلك". فقال لهم: "إن لم تطيقوا ذلك فاصبروا على اللطمة الأولى".

قالوا له: "ولا هذه نستطيع". فقال لهم: "إن لم تستطيعوا فلا تكافئوا من يظلمكم".

فقالوا له: "ولا هذا نستطيع". فما كان من القديس إلا أن دعا تلميذه وقال له:" اصلح لهم مائدة واصرفهم لأنهم مرضى. إن هذا لا يطيقون، وذاك لا يستطيعون، ووصايا الرب لا يريدون. فماذا أفعل لهم؟!".

أما عن الصفة الإيجابية المرتبطة بالتأني وهي الترفق فيشترطها أيضاً القديس بولس الرسول في عبد الرب "وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ انْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا ًبِالْجَمِيعِ، صَالِحاً لِلتَّعْلِيمِ، صَبُوراًعَلَى الْمَشَقَّاتِ" (تي٢ :٢) .

كما يوضح القديس بولس كيف كانت هذه الصفة موجودة في خدمته قائلاً "بَلْ كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا" (١تس٢ :٧) .

ويؤكد القديس بولس أيضاً أن صفة الترفق يجب أن يمارسها الخادم وخاصة بالجهال والضالين "قَادِراً أَنْ يَتَرَفَّقَ بِالْجُهَّالِ وَالضَّالِّينَ، إِذْ هُوَ أَيْضاً مُحَاطٌ بِالضُّعْفِ" (عب٥ :٢) .

كذلك يوضح القديس يعقوب أن هذه الصفة من صفات الحكمة النازلة من فوق "وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقُ فَهِيَ أَوَّلاً طَاهِرَةٌ، ثُمَّ مُسَالِمَةٌ، مُتَرَفِّقَةٌ" (يع٣ :١٧). إن أردنا أن نتعلم صفة الترفق هذه فلنتعلمها من السيد المسيح المكتوب عنه "وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا" (مت٩ :٣٦)، (مر٦ :٣٤).

في قصة إقامة ابن الأرملة بنايين عندما رأى السيد المسيح أرملة نايين تبكي لموت وحيدها، قيل "فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا:

لاَ تَبْكِي. ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّابُّ لَكَ أَقُولُ قُمْ. فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ" (لو ٧: ١١-١٥). كذلك من تحنن الرب يسوع أنه بكي ببكاء مريم ومرثا وأقام لهما أخيهما ليعازر .

من الأمثلة التي قالها السيد المسيح التي تحثنا علي الترفق والتحنن مثل السامري الصالح الذي رأى في الطريق إنساناً وقع بين أيدي اللصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت "فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتاً وَخَمْراً وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ" (لو ١٠: ٣٤).

ما أعظم محبة الرب في ترفقه علي المرأة السامرية، وعدم إخجالها {يو ٤}. وكذلك ترفقه علي المرأة الخاطئة التي ضبطت في ذات الفعل، وكيف أنقذها من الذين أدنوها وطلبوا الحكم برجمها. ثم قال لها في رفق "وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضاً" (يو ٨: ١١) وبنفس الرفق عامل المرأة الخاطئة التي سكبت الطيب علي قدميه في بيت سمعان الفريسي (مر ١٤: ٣) وأظهر للفريسي إنها أفضل منه. كذلك ترفقه بالابن الضال حينما رجع، ولم يبكته علي ذهابه إلي كورة بعيدة (ونفس الموقف مع زكا العشار (لو ١٩) وباقي العشارين والخطاة . كما نلاحظ أيضاً أن معجزات الشفاء التي قام بها الرب، لم تكن مجرد شفاء إنما امتزجت أيضاً

بالحنان والرافة. ففي منح البصر للأعميين، يقول الكتاب "فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَلَمَسَ أَعْيُنَهُمَا فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَتْ أَعْيُنَهُمَا فَتَبِعَاهُ" (مت:). وفى شفاء الأبرص وتطهيره، قيل "فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: أُرِيدُ فَاطْهُرْ" (مر). ويقول الكتاب أيضاً "فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعاً كَثِيراً فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ" (مت). إذن الحنان هو الدافع، والشفاء هو النتيجة .

من أمثله المحبة التي تتراءف، المحبة الموجهة إلي التعابى، والحزانى، وصغيرى النفوس. ولعل أبرز مثل لهذا الحب المترفق، هو قول السيد:" تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت11:).

من جهة الحزانى، نراه فى محبته وحنوه،" وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤ).

من أجل هذه المحبة المترفقة، قيل عنة أنه "عزاء من ليس له عزاء، ومعين من ليس له معين". كما يقول الكتاب عن الآب أنه "مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ" (كو).

من أجل ذلك نقول عن الله في صلواتنا أنه:" عزاء صغيري النفوس، ميناء الذين في العاصف". لقد عزى بطرس الرسول الذي بكى بكاء مراً بعد أن أنكره ثلاث مرات (مت26:). لذلك قابله بعد القيامة، وقال له:" ارْعَ غَنَمِي، ارْعَ خِرَافِي" (يو :) وذلك لئلا يظن بعد نكرانه أنه قد فقد رسوليته، أو أنه انطبق عليه قول الرب:" وَلَكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت) .

كان السيد المسيح أيضا مترفقاً بتوما في شكوكه، وسمح له أن يلمس جراحه ويؤمن(يو:). كما ترفق أيضاً بالمجدلية، وأزال شكوكها وثبتها في الإيمان(يو). لهذا كله يقول الرسول:" وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلاَ تَرْتِيبٍ. شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ، أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ" (تس :) .

لعل أيضاً من أبرز الأمثله للمحبة المترفقة: الرفق بالخطاة .وفيها يقول الرسول:"اُذْكُرُوا الْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي الْجَسَدِ" (عب) .

أخيراً نقول أن طول الأناة والرفق لا يمنعان التأديب، لكن علينا أن نستخدم الوداعة مع التأديب كما يقول الرسول بولس لتلميذه الأسُقف

تيموثاوس:" مُؤَدِّباً بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى انْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ" (تي ٢ :٢٥) .

١. المحبة لا تحسد.

الحسد بمعناه اللغوي هو تمنى زوال النعمة أو الخير عن المحسود، وتحول هذه النعمة والخير إلى شخص الحاسد. فالحسد إحساس بالنقص وعدم المحبة، والأحساس بالملء والفيض. إن الحسد عين ناظرة إلي الأرض، أما المحبة فهى عين ناظرة إلى السموات.

المحبة هي إنكار للنفس أو إماتة للذات ليحل الله مكانها. فالمحبة لا تطلب ما لنفسها بل ما هو للآخرين. لذلك من يحب يفرح ويسر لنمو الآخرين روحيًا وجسدياً، ويشتاق لو أعطى له أن يتخلى عن كل ما اكتسبه من بركات أرضية وسمائية لأجل إخوته. فيوناثان لما أحب داود (صم ١٨) وكان يشتهي أن يرى إكليل أبيه على رأس داود، أكثر مما يشتهي أن يراه على رأسه، إذ قال له:" لاَ تَخَفْ لأَنَّ يَدَ شَاوُلَ أَبِي لاَ تَجِدُكَ، وَأَنْتَ تَمْلِكُ عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا أَكُونُ لَكَ ثَانِياً. وَشَاوُلُ أَبِي أَيْضاً يَعْلَمُ ذَلِكَ" (صم ٢٣ :١٧). بينما إخوة يوسف بسبب الحسد باعوا أخوهم وكادوا أن يقتلوه.

الحسد يجعل الإنسان يقف موقفًا عدائيًا قِبَل الله ذاته، وبالتالى يستحيل أن يستقر السلام في مثل هذا القلب.

أول ما نسمع عن الحسد في الكتاب المقدس نسمعه عن الشيطان الذي يقول عنه في القداس الباسيلى:" الموت الذي دخل إلي العالم بحسد إبليس هدمته". هكذا قال سفر الحكمة "لكن بحسد ابليس دخل الموت الى العالم" (الحكمة :). فالشيطان حسد الإنسان على عشرته مع الله ومحبته الله له، فأراد أن يفصله عن تلك المحبة. فالشيطان لأنه خالٍ من المحبة التى لا تحسد نجده دائماً يحسد أولاد الله ويقاتلهم بكل الطرق حتى يبعدهم عن الحياة الأبدية التي فقدها من قبل.

ويسمعنا سفر العدد عن خطورة الحسد وما حل بقورح وداثان وأبيرام نتيجة حسدهما لموسي النبي وهارون، حيث يقول الكتاب:" وَحَسَدُوا مُوسَى فِي الْمَحَلَّةِ وَهَارُونَ قُدُّوسَ الرَّبِّ" (مز :). ونتيجة لهذا الحسد نجد الكتاب يقول:" وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُل مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَالِ" (عد :).

كما أن سفر الأمثال يوضح أن الحسد هو نخر للعظام "حَيَاةُ الْجَسَدِ هُدُوءُ الْقَلْبِ وَنَخْرُ الْعِظَامِ الْحَسَدُ"(ام :). فالإنسان الحسود قلبه خالٍ من الحب لذا لا يكون في سلام أبداً بل يكون في حزن دائم واكتئاب شامل نتيجة لنجاح أي شخص حوله.

كما أن سفر الحكمة يعلمنا بأن لا نصاحب الحسود ولا نسايره:" ولا اسير مع من يذوب حسداً لان مثل هذا لا حظ له في الحكمة" (الحكمة :). كذلك الحكيم بن سيراخ يتكلم عن الحسد فيقول:" لا اخبث ممن يحسد بعينه و يحول وجهه و يحتقر النفوس"(سيراخ :). ويقول أيضاً:" العين الشريرة تحسد على الخبز و على مائدتها تكون في عوز" (سيراخ :). كذلك ينبه قائلاً:" لا تستشر من يرصدك و اكتم مشورتك عمن يحسدك" (سيراخ :) .

كما قال الكتاب المقدس عن بيلاطس عند تسليم اليهود للرب يسوع:" لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَداً" (مت :)، "لأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوهُ حَسَداً" (مر :). ونتيجة لهذا الحسد حرموا أنفسهم من الإيمان به والتمتع بخيراته بل والتآمر على قتله وصلبه بأيدي الغرباء وليس ذلك فقط بل وطلبوا إطلاق باراباس القاتل بدلاً عن الرب يسوع وقالوا:" ليس لنا ملك إلا قيصر". إن نتائج الحسد خطيرة ليتنا نبتعد عنه بالتمسك بالمحبة التي هي خير علاج للحسد فالمحبة لا تحسد أحداً.

القديس بولس الرسول أرجع الحسد إلى الكبرياء والعجب فنجده يقول:" لاَ نَكُنْ مُعْجِبِينَ نُغَاضِبُ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَنَحْسِدُ بَعْضُنَا بَعْضاً" (غل :) . ويقول أيضاً:" فَقَدْ تَصَلَّفَ، وَهُوَلاَ يَفْهَمُ شَيْئاً، بَلْ هُوَ مُتَعَلِّلٌ

بِمُبَاحَثَاتٍ وَمُمَاحَكَاتِ الْكَلاَمِ الَّتِي مِنْهَا يَحْصُلُ الْحَسَدُ وَالْخِصَامُ وَالاِفْتِرَاءُ وَالظُّنُونُ الرَّدِيَّةُ" (تي :). وقد وضع القديس بولس الحسد أيضاً مع أقبح الخطايا وأشنعها وحرم صاحبها من ملكوت السموات "حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضاً: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ" (غل :).

أيضاً القديس بطرس الرسول يوصينا بأن نطرح الحسد خارجاً:" فَاطْرَحُوا كُلَّ خُبْثٍ وَكُلَّ مَكْرٍ وَالرِّيَاءَ وَالْحَسَدَ وَكُلَّ مَذَمَّةٍ" (بط :).

وفى ذلك يقول القديس أغسطينوس أن الكبرياء هوأحد مسببات الحسد فيقول:" لماذا المحبة لا تحسد، ذلك لأنها لا تنتفخ فحيث يوجد الكبرياء يتبعه الحسد، لأن الكبرياء هو أساس الحسد"

وعن خطورة الحسد يحدثنا الشهيد القديس كبريانوس فيقول "مثل هؤلاء لا يهنأون بطعامٍ أو يتمتعون بشرابٍ. إنهم على الدوام يتأوّهون ويتنهّدون ويحزنون، فطالما لا يُطرد الحسد تتمزق قلوبهم نهارًا وليلاً بلا انقطاع. وفي كل الشرور لها حدود، وكل خطأ ينتهي بارتكاب الجريمة، فالزاني تنتهي معصيته عند حد ارتكاب التعدّي، واللص تقف جريمته عندما يقتل، والسالب يضع حدًا لجشعه، والمخادع يضع

نهاية لغشّه، أما الحسد فليست له حدود. إنه شر يعمل على الدوام وخطية ليس لها نهاية".

فى نفس المعنى يقول القديس يوحنا ذهبى الفم:" لا توجد خطية تفرق الإنسان عن الله والناس مثل الحسد، لأن هذا المرض أشد خبثًا من محبة الفضة. لأن محب الفضة يفرح متى ربح شيئًا، أما الحاسد فيفرح متى خسر أحد شيئًا أو ضاع تعبه سُدى، ويشعر أن خسائر الآخرين ربحًا له أكثر من أي نجاح. فأي شر أعظم من هذا؟! الزاني يتورط في الخطأ لأجل لذة مؤقتة والسارق قد تكون له حجة الفقر، ولكن أي عذر تقدمه أيها الحاسد؟! الزاني يحصل على لذة زمنية أثناء ارتكابه الخطية، ثم يعود فيرفضها ... فيتوب ويخلص، أما الحاسد فيعذب نفسه ولو لم يحدث له ضرر ممن يحسده. فلهذا خطية الحسد أشر الخطايا وأشنعها، لأن الحاسد لا يمكنه ترك خطيته بسهولة، بل يصير كالخنزير المتمرغ في الحمأة، ويماثل بفعله الشيطان... لهذا أقول لكم أنه ولو كان أحدكم يصنع معجزات أو يحفظ البتولية، أو يكون صوّامًا أو باسطًا كفيّه في الرحمة أو ينام على الحضيض أو يصل بهذه الوسائط إلى فضيلة الملائكة؛ ولكن فيه آلام الحسد فلا محالة يكون أشر من جميع الخطاة وأردأ منهم".

من كل ما سبق يتضح لنا أن الحسد لا يتمشي نهائياً مع المحبة، فكيف أحسد من أحب، فعندما يحب الإنسان يتمنى ولو كان من

يحبه أفضل منه مئات المرات ولنا في حب الأم والأب لأبنائهما مثالاً. هذه هي غريزة الحب التي لا تحسد أبداً.

عزيزى القارىء: إن من أهم أسباب الحسد هو عدم الاحساس بالشبع والأكتفاء بالله، والعلاج الأول هو أن تلجأ النفس إلى الرب يسوع مصدر شبعها، فالنفس التى تبحث عن ينبوع آخر من ينابيع العالم فتزداد ظمأها أكثر، فإن طلبت أمجاد العالم وممتلكاته تحسد، كل من يملك أو ينال أكثر منها، بل وتحسد من هم أقل منها، لأن النفس العطشى تطلب كل العالم لعله يُشبعها، ولم يشبع.

٥. المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ

تكلمنا من قبل عن الفرق بين الترفق وطول الأناة نقول هنا أيضاً فالتفاخر هذا أمر شخصي داخل النفس البشرية أما الانتفاخ فهو يكون على الآخرين. فالمحبة لا تفتخر بالمواهب، بل تستخدمها في اتضاع لنفع وخدمة الآخرين.

إن الإنسان الذي تعلم الحب من السيد المسيح لا يمكن أن يفتخر أو ينتفخ، بل يتمثل بسيده الذى من أجل الحب أخذ شكل العبد. ومن أجل الحب أيضاً جاء ليخدم لا ليُخدم. من أجل الحب أيضاً أطاع حتى الموت موت الصليب. فالإنسان الذي انسكبت فيه محبة الله بالروح القدس يُدرك حقيقة عضويته وعضوية إخوته في جسد الرب،

لذلك لا يحتقر أحدًا ولا يزدري به، بل يحسب الكل مكرّمين لأجل الرب، فيردد مع القديس بولس الرسول:" وَأَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي نَحْسِبُ أَنَّهَا بِلاَ كَرَامَةٍ نُعْطِيهَا كَرَامَةً أَفْضَلَ. وَالأَعْضَاءُ الْقَبِيحَةُ فِينَا لَهَا جَمَالٌ أَفْضَلُ. وَأَمَّا الْجَمِيلَةُ فِينَا فَلَيْسَ لَهَا احْتِيَاجٌ. لَكِنَّ اللهَ مَزَجَ الْجَسَدَ مُعْطِياً النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَاماً وَاحِداً بَعْضُهَا لِبَعْضٍ" (كو١٢: ٢٣-٢٥).

فى هذا يقول القديس أكليمنضس الرومانى:" لنأخذ جسدنا كمثالٍ، الرأس بدون الرجلين ليس بشيء، كذلك الرجلان بدون الرأس. فكل الأعضاء حتى أصغرها وأحقرها ضرورية ومفيدة للجسم، فالكل يعمل معًا في انسجام وتحت ضابط واحد، لأجل المحافظة على الجسد كله.إذًا لنحافظ على سلامة الجسد في المسيح يسوع، خاضعين بعضنا لبعض، كل بحسب الموهبة التي نالها من الله. فالقوي لا يحتقر الضعيف، والضعيف يكُرم القوي. والغني يشبع احتياجات الفقير، والفقير يشكر الله الذي وهبه إنسانًا يشبع احتياجاته".

فى هذا يعطينا القديس باسيليوس الكبير علاجاً صالحاً لتكبرنا وعجرفتنا على إخوتنا فنجده يقول:" بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ" (يو٣: ١٦). فإذا كان ينبغي أن يبلغ حبنا للمسيح إلى هذا

الحد، أي إلى بذل أنفسنا عوضًا عن إخوتنا، فبالأحرى إذًا أن تبلغ بنا إلى أشياء كثيرة نصادفها كل يوم، وهي أقل كلفة بكثير عن بذل أنفسنا عنهم. فأحد هذه الأشياء وأحقّها؛ الذي تقتضيه المحبة منّا وتعيننا في حياتنا ونموها هو اعتبارنا للقريب، فهذا عليه يتأسس ويعتمد كل بنيان المحبة الحقيقية ... فاعتبارنا لاخوتنا يجعلنا نحبهم ونكرمهم ونخدمهم ونتمم نحوهم بقية ضرورات المحبة. فبمقدار ما يزيد فينا اعتبارنا لهم ... تزداد فينا المحبة وتوابعها، لهذا يحث الرسول أهل فيلبي "لاَ شَيْئاً بِتَحَزُّبٍ أَوْ بِعُجْبٍ، بَلْ بِتَوَاضُعٍ، حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" (في ٢: ٣). وقال أيضًا لأهل رومية "وادين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية، مقدّمين بعضكم بعضًا في الكرامة" .

٣. المحبة لا تقبح

القباحة هي أن يسلك الإنسان بعدم لياقة إرضاءً لنزعاته الدنيوية أو دفاعاً عن حقوقه المسلوبة. أما المحبة فقد فطمت نفسها حتى من الأشياء المباحة. فالمحبة لا تطلب ما لنفسها.

إن القباحة جاء عنها بالكتاب المقدس أنها أبشع حالات الخطية(الخطية التي لا تُقبل) فنجدها مكتوبة عند مضاجعة شكيم بن حمور لدينة بنت يعقوب:" لأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ

يَعْقُوبَ. وَهَكَذَا لاَ يُصْنَعُ"(تك :). وقيلت أيضاً عند زنا البنت وهي في بيت أبيها:" يُخْرِجُونَ الفَتَاةَ إِلى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا وَيَرْجُمُهَا رِجَالُ مَدِينَتِهَا بِالحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ لأَنَّهَا عَمِلتْ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيل بِزِنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ" (تث :).

كما جاءت في قصة الرجل وسريته التي أزلوها بني بليعال وأماتوها (قض). كما جاءت أيضاً في قصة أمنون مع اخته ثامار فنجدها تقول له:" فَقَالَتْ لَهُ: لاَ يَا أَخِي، لاَ تُذِلَّنِي لأَنَّهُ لاَ يُفْعَلُ هَكَذَا فِي إِسْرَائِيلَ. لاَ تَعْمَلْ هَذِهِ الْقَبَاحَةَ" (صم :).

القباحة تُطلق علي الشئ غير الجميل، فنقول أن منظره قبيح وهكذا جاء في حلم فرعون:" ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مَهْزُولَةٍ وَقَبِيحَةِ الصُّورَةِ جِدّاً وَرَقِيقَةِ اللَّحْمِ. لَمْ أَنْظُرْ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مِثْلَهَا فِي الْقَبَاحَةِ" (تك :).

إذن فالقباحة علي المستوى الروحي هى كل فعل أو قول أو فكر قبيح. وهذا لا يتمشى مع محبتنا لله ولا محبتنا بعضنا لبعض ولا محبتنا لأنفسنا كذلك. فالقديس بولس الرسول ينصحنا قائلاً:" وَلاَ الْقَبَاحَةُ، وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ وَالْهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ"(اف :).

إن التفاخر ضد المحبة، فكم بالإكثر التفاخر الذي يقبح غيره. الذي يقيم مقارنة بينه وبين غيره، فإذا به هو الأفضل، وغيره الأدنى، مع ذكر مساوئ هذا الغير. إن تحقير الآخرين لا يتفق مع المحبة التي يفترض فيها أن تستر عيوب الآخرين لا أن تقبحهم، أو تشهر بهم وتظهر مساوئهم .. بل المحبة بالأكثر تدافع عن الغير، لا أن تذمه.

.المحبة لا تطلب ما لنفسها

الإنسان الذي يحب الله ويحب الناس يطلب دائماً ما لله وما للناس. فالمحبة لا تفكر في ذاتها، ولكن فيمن تحب. ذلك لأنه إن كان من طبيعة الأنانية أنها دائما تريدً أن تأخذ، فإنه من صفات المحبة أنها تريد أن تعطى. فالإنسان الذي يحب الله محبة حقيقية يردد مع المرتل في المزمور:" مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئاً فِي الأَرْضِ" (مز ٧٣: ٢٥) ويردد أيضاً "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ لِلرَّبِّ وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ" (مز ٢٧: ٤). فالذي يحب الله لا يطلب سواه فهو الشبع فيه الكفاية والكفيل لكل ما نريد دون أن نطلب أو نستجير. لذلك يوصينا السيد المسيح "لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ" (مت ٦: ٣٣) ... بمعنى أننا مطالبون بأن لا نطلب ما لأنفسنا ولكننا مطالبون بأن نطلب ملكوت الله وكل شئ سوف نزداده دون أن نطلب.

الإنسان الذي يحب الله دائماً يطلب ويفكر فيما يرضي الله لا ما يرضى نفسه وذلك فى الصلاة والصوم والصدقة. فرغم أن نفسه تطلب الراحة والأكل والنوم إلا أنه لا يطلب ما لنفسه بل يطلب ما لله الذي يحبه. وخير مثال لمن أحبوا الله ولم يطلبوا ما لأنفسهم آباؤنا الشهداء الذين لم يطلبوا ما لأنفسهم بل بذلوها راضين. كذلك أباؤنا الرهبان والنساك الذين سكنوا الجبال والبراري تاركين كل شئ من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح الذين سكنوا الجبال والبراري وشقوق الأرض، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح. إنهم لم يطلبوا أبداً ما لأنفسهم. بل تركوا المال والأهل والوظائف وكل المتع الأرضية. وعاشوا منسيين، بلا طعام بلا راحة، لا يطلبون سوى الله، الذى صار لهم هو الكل فى الكل.

إن السيد المسيح خير مثال لنا في المحبة التي لا تطلب ما لنفسها فهو لأجل محبته لنا ومحبته للآب ولكي يعلمنا المحبة التي لا تطلب ما لنفسها نسمعه كثيراً يردد بفمه الطاهر:" طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ"(يو ٤ :٣٤). ويقول أيضاً:" لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو ٦ :٣٨). كذلك قوله:"لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو ٦ :٣٨).

لذلك نجد أن السيد المسيح من أجل محبته للبشر" أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ" (في2:7). وابتعد عن كل مجد عالمي. ولم يكن له أين يسند رأسه، فهو الذى قَالَ:" لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ" (لو9:58).

كذلك لم يطلب السيد المسيح ما لنفسه، حينما انحنى وغسل أرجل تلاميذه(يو13)، وحينما بذل ظهره للسياط ، ثم صعد على الصليب، ولم يدافع عن نفسه. وبذل حياته عنا، البار لأجل الآثمة، فى ذلك يقول القديس بولس:" وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رو5:8).

كذلك أبونا إبراهيم خير مثال للمحبة التي لا تطلب ما لنفسها فمحبته للوط ترك له النصيب الأكبر وأنقذه عند الحاجة ومن أجل محبته لله ترك كل شئ بل وافق علي التضحية بابنه في سبيل محبته وطاعته لله. تلك هي المحبة الحقيقية التي لا تطلب ما لنفسها. ليس هذا فقط بل تترك أيضاً ما لنفسها من أجل محبتها لله وللآخرين.

مثال آخر وهو القديس يوحنا المعمدان الذي من أجل محبته للسيد المسيح لم يطلب ما لنفسه بل نجده يقول "يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا

أَنْقُصُ" (يو :) .. ومن أجل محبته للحق لم يطلب ما لنفسه بل بذلها راضياً بالسجن أو بقطع رأسه.

القديس بولس الرسول أيضاً من أجل محبته للمسيح لم يطلب أبداً ما لنفسه بل قبل أن يخسر كل شئ وقد حسبها نفاية من أجل محبته للمسيح:" الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ" (في :). ومن أجل محبته للمخدومين لم يطلب أيضاً ما يوافق نفسه بل الآخرين لكي يخلصوا "كَمَا أَنَا أَيْضاً أُرْضِي الْجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوافِقُ نَفْسِي بَلِ الْكَثِيرِينَ لِكَيْ يَخْلُصُوا" (كو :). بل من أجل محبته للمسيح نجد القديس بولس يقول "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ"(غل :).

لذلك ينصحنا القديس بولس قائلاً:" لاَ يَطْلُبْ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلآخَرِ" (كو :). فالإنسان الذي يمتلئ قلبه بالمحبة لله وللآخرين لسانه حاله يردد في كل المواقف والظروف عبارة "لا أنا". لذلك يجب علي الإنسان المحب أن يطلب أولاً ما يخص الله ثم ما يخص الآخرين وإن أراد أن يطلب شيئاً لنفسه فلتكن ملكوت السموات التي سوف ينالها طبيعياً بمحبته لله وللآخرين. هذه المحبة التي لا تطلب ما لنفسها دائماً تأخذ دون أن تطلب.

إن المحبة التي لا تطلب ما لنفسها مطلوبة في كل المجالات الروحية، مطلوبة في الخدمة، فالخدمة حب لله وللمخدومين، والخادم الذي يحب دائما ما لا يطلب ما يوافق نفسه بل ما يوافق المخدومين وذلك لأنه يخدم غير طالب شيئاً لنفسه سواء كرامة أو رئاسة أو مديح، أنه يطلب فقط ما للآخرين وما لله لكي يصل بالمخدومين إليه.

لذلك الخادم المحب الذي لا يطلب ما لنفسه لا يهمه كثيراً أن يكون في المقدمة بل كل ما يهمه مصلحة مخدوميه. فالإنسان المحب للآخرين لا يطلب ما لنفسه بل يخدم الآخرين ولو كان ذلك علي حساب تعبه أو ماله. فالعطاء من الأعواز نوع عظيم من المحبة التي لا تطلب ما لنفسها. نجد هذا الفعل خلال المرأة الأرملة الفقيرة التي ألقت فلسين من أعوازها بل ألقت كل معيشتها .. هذه هي المحبة التي لا تطلب ما لنفسها. هكذا أرملة صرفة صيدا، التي لم تطلب ما لنفسها في وقت المجاعة. وأعطت كل ما عندها من زيت ودقيق لإيليا النبى (مل). فاستحقت بذلك أن يباركها الرب ويبارك خيراتها طول زمن المجاعة.

ليتنا نصلي لكي نحصل علي تلك المحبة التي لا تطلب ما لنفسها بل ما لله وللآخرين لأن من نتيجة تلك المحبة إننا نحصل على كل شئ. هذه المحبة بها فرح وسلام .. فرح بالله وسلام مع الآخرين.

أخيراً يمكننا أن نقول أن الإنسان الذي لا يطلب ما لنفسه سوف يربح نفسه .. ولكن الإنسان الذي يطلب ما لنفسه سوف يخسرها كما قال السيد المسيح بفمه المبارك:" فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا" (مر ٨: ٣٥)، (لو ٩: ٢٤) .

فى هذا الأمر يقول للقديس يوحنا ذهبى الفم:" إذن لا تطلبوا ما لأنفسكم فتجدون أنفسكم. لأن من يطلب ما لنفسه لا يجدها. فإن نفعك قائم في نفع أخيك، ونفعه هو لنفعك". كما يقول أيضاً الشيخ الروحانى:" إن كنت قد وُلدت بالمسيح حقًا، فكل مولود من المسيح هو أخوك. فإن أحببت نفسك أكثر من أخيك، فهذه الزيادة ليست من المسيح".

٥. المحبة لا تحتد.

الذي يحب، لا يحتد على من يحبه، أى لا يغضب عليه، ولا يثور، ولا يعامله بحده، أي بشدة وعنف. بل علي العكس بوداعة، وبحب، وطيبة قلب. لقد تكلم القديس بولس عن المحبة التي لا تحتد بعد صفة المحبة التي لا تطلب ما لنفسها لأنه من الطبيعي أن الذي لا يطلب ما لنفسه، لا يحتد. إنما الذى يحتد الذي يطلب لنفسه كرامة ومعاملة خاصة، ولا يجد ذلك. ويحتد الذي يطلب لنفسه طاعة

وخضوعاً، ولا يعامل هكذا. أما إن كان لا يطلب لنفسه شيئاً من هذا كله وأمثاله، فطبيعي أنه لا يحتد.

إن خير مثال للمحبة التى لا تحتد، الله تبارك اسمه، الذي قيل عنه المزمور إنه:" لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا". الله الذي قال عنه يوئيل النبى إنه:" وَمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكُمْ لأَنَّهُ رَأُوفٌ رَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّأْفَةِ وَيَنْدَمُ عَلَى الشَّرِّ" (يؤ). وقال عنه يونان النبي إنه:" بطئ الغضب كثير الرحمة"(يون). هكذا قال أيضاً داود إنه:" الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ" (مز). فالله لم نره يحتد رغم بشاعة الخطايا التي فعلها أحباؤه فنراه لم يحتد على بطرس رغم انكاره ولا على توما رغم شكه ولا على التلاميذ رغم خوفهم ولا حتى على صالبيه رغم قساوتهم بل طلب لهم المغفرة.

الله لم يحتد فقط على محبيه بل لم يحتد أيضاً على الخطاة البعيدين عنه بل نراه لا يدين المرأة التي أمسكت في ذات الفعل بل ويدافع عنها كما دافع عن المرأة الخاطئة في بيت سمعان. لم يحتد على المرأة السامرية بل أخذها باللين والرفق واستطاع بذلك تحويلها من خاطئة إلى مبشرة.

ليتنا نتعلم من السيد المسيح تلك لمحبة التي لا تحتد، ونتعلم الحلم من موسى النبي الذي لم يحتد علي هارون ومريم لما تكلما عليه في زواجه بالمرأة الكوشية:" وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيماً جِدّاً أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الذِينَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ" (عد). بل أنه لما عاقب الرب مريم بسبب جرأتها على موسى، تشفع فيها موسى وطلب من الرب مسامحتها (عد). هذه هي المحبة التي ليس فقط لا تحتد بل تشفع. أنه من الطبيعي أن المحبة المستعدة أن تبذل وتضحي من أجل محبيها لا يمكنها أن تحتد عليه.

مثل آخر هو داود النبي في معاملته لأبشالوم. أبشالوم الذي خان أباه داود، وأساء إليه، وقاد ليستولي علي ملكه. لم يحتد عليه داود، بل قال لرجال جيشه:" تَرَفَّقُوا لِي بِالْفَتَى أَبْشَالُومَ" (صم). ولما انتصر جيش داود كان كل همه لمن بشروه بالانتصار:" أَسَلاَمٌ لِلْفَتَى أَبْشَالُومَ؟" (صم:) ولما علم بموته، بكى عليه وأبكى الشعب كله.

يجب علينا جميعاً أن نتعلم تلك المحبة التي لا تحتد، فالكاهن لا يحتد علي مخدوميه لا فى الكنيسة بسبب أخطاء عامة. ولا في سر الاعتراف مهما تكون الخطايا بشعة بل عليه أن يكسب مخدوميه. يجب عليه أن يعرف أنه خادم (= خَدام) فلا يمكن للخادم أن يحتد على من يخدمه (سيده).

يجب كذلك علي الأم والأب والأسرة عموماً أن لا تحتد على أولادها بل تتعامل معهم بالمحبة التي لا تحتد بل تستخدم النصح والارشاد والحوار مع العطف والحنو. يجب علينا جميعاً أن نتعلم المحبة التي لا تحتد حتى نعيش حياة ملؤها السعادة والسلام مع أنفسنا ومع الآخرين كذلك .

⌨. المحبة لا تظن السوء

القلب المحب من صفاته أن لا يشك في أحد بل لديه ثقة في كل أحد. فالإنسان صاحب القلب المحب لا يظن السوء فيمن من حوله سواء لم يجد إن ما يدعو شئ يدعو لهذا أو حتى إذا كانت هناك أشياء تدعو لسوء الظن فهو يعزو أخطاء الغير إلى سوء الفهم أو أنهم لم يقصدوا أو إنها حرب من الشيطان أو بأنها بسماح من الله.

إن السيد المسيح أراد أن يعلمنا المحبة التي لا تظن السوء وهو على الصليب نجده لا يظن السوء بصالبيه بل يطلب لهم المغفرة ويعلل ذلك بانهم لا يعلمون ماذا يفعلون.

كما أن هناك مثال واضح لسوء الظن في الكتاب المقدس مرة أرسل داود النبي رسل لكي يعزوا ملك بني عمون في وفاة أبيه فسوء الظن جعل بني عمون يشكون فيهم كجواسيس وليس كمعزين فقصوا لحاهم

وشقوا ثيابهم وأرسلوهم وما كان من سوء الظن هذا إلا إن اندلعت حرب شعواء مات فيها بني عمون.

الإنسان المحب يحب كل الناس ويؤمن أنهم خيرون بطبعهم الذي خلقهم عليه الله وان كان هناك شر فسببه الشيطان وليس البشر. المحبة التي لا تظن السوء هي حل لكثير من المشاكل والعكس صحيح فالظن السئ يولد الكثير من المشاكل والخلافات مع الجميع.

الإنسان المحب الذي لا يظن السوء يعيش في سلام وحب مع كل الناس ومع نفسه عكس الشخص الذي يظن السوء لايعيش في سلام بل نجده طوال الوقت قلق متوتر يفكر بالشر فيمن حوله. حُسن الظن لا يعني عدم التصرف بحكمة ولكن معناه أن لا نترك فرصة لعدو الخير لزرع الشكوك بيننا وبين الآخرين. معناه ألا نتسرع فى الحكم علي الآخرين بل علينا أن ندافع عن الناس بقدر ما يمكن ولا نحتفظ بسجل لخطايا الآخرين بل علينا أن نشغل أنفسنا بالأعمال الصالحة وخدمة الآخرين بدلاً من ملاحظة أخطائهم والتفكير فى شرورهم.

. المحبة لا تفرح بالاثم.

الإثم هنا له ثلاثة معانٍ (إثم – شر – ظلم). فالإنسان المحب لله وللآخرين لايفرح بخطاياهم لأنها عدواة لله الذي يحبه وعثرة للناس الذي يحبهم أيضاً.

هناك أمر أخر وهو أن المحبة لا تفرح بإثم الآخرين ولكن تفرح بتوبتهم ورجوعهم عن أخطائهم. فالشخص المحب يبكى على الخطاة ويذكرهم في صلواته لكي يرحمهم الله لكي يتوبوا ويرجعوا إليه.

هناك بعض الترجمات لهذه الآية:" لا تفرح بالظلم" وقد فسرها الآباء أي أن المحبة الحقيقية لا تفرح ولا تشمت بالظلم أو العقاب الذي يحل حتى بأعدائها لأنها مطالبة بمحبة الأعداء والصلاة لأجلهم ومباركتهم وليس للفرح بهم والشماتة فيهم. فالمحبة لا تفرح بأي ظلم من أي نوع يقع على أي شخص. فان كانت المحبة مطالبة بعدم الفرح لأي ضرر طبيعي أو عادل يقع بأى شخص. فماذا نراها تفعل حيال الظلم؟! بالتأكيد انها مطالبة بأن لا تفرح به ليس هذا فقط بل مطالبة بالدفاع عن المظلومين والصلاة لأجلهم ومواساتهم.

كذلك المحبة التي لا تفرح بالظلم مطالبة طبيعياً بأن لا تظلم هي أحد كما ينصح القديس يوحنا المعمدان الجند سائليه:" لاَ تَظْلِمُوا أَحَداً وَلاَ تَشُوا بِأَحَدٍ وَاكْتَفُوا بِعَلاَئِفِكُمْ" (لو ٣ :١٤). ليس ذلك فقط بل إن الإنسان المحب مطالب أيضاً بأن لا يكون به ظلم كما قال السيد المسيح عن نفسه " مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ يَطْلُبُ مَجْدَ نَفْسِهِ وَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ" (يو ٧ :١٨).

يجب أن نتمثل بالله الذي قال عنه بولس الرسول:" فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْماً؟ حَاشَا!." (رو ٩ :٢٠). يجب أن نتمثل أيضاً بقديسيه أمثال بولس الرسول الذي افتخر قائلاً:" اِقْبَلُونَا. لَمْ نَظْلِمْ أَحَداً. لَمْ نُفْسِدْ أَحَداً. لَمْ نَطْمَعْ فِي أَحَدٍ" (٢كو ٧ :٢). فالإنسان المحب يضع أمام عينيه علي الدوام الآية التي تقول "وَأَمَّا الظَّالِمُ فَسَيَنَالُ مَا ظَلَمَ بِهِ، وَلَيْسَ مُحَابَاةٌ" (كو ٣ :٢٥).

الله يمكن أن يحتمل خيانة بطرس وشك توما وخوف التلاميذ ولكنه لا يستطيع أن يحتمل الظلم وقد ظهر هذا مع يهوذا الذي شهد بظلمه قائلاً:" قَائِلاً:قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَماً بَرِيئاً». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ!" (مت ٢٧ :٤).

٩. المحبة تفرح بالحق

الحق عكس الظلم عكس الاثم عكس الشر. فالإنسان المحب نجده يفرح بالبر، بره هو وبر الآخرين. يفرح بتقدمه الروحى، ويفرح بتقدم الآخرين، لايحسدهم ليس هذا فقط بل يفرح بتقدمهم ومواهبهم الروحية.

كذلك الحق عكس الباطل وعكس الظلم فلا يمكن للإنسان المحب أن يقف بجوار الباطل أو الظلم ولو بدافع العطف والشفقة. أنه لا يحابى سواء مع نفسه فلا يبرر أخطاءه ولا مع الآخرين بل نجده دائماً بجوار

الحق يدافع عنه سواء كان هذا الحق عقائدياً أو أخلاقياً. ولكن الدفاع عن الحق يجب أن يكون بوداعة وحلم وطول أناة ولا يكون فيه احتداد.

الحق أيضاً بمعني الصدق فالإنسان المحب يجب أن يكون صادقاً في كل شئ في كلامه وفي تصرفاته كذلك في مشاعره وعلاقته الروحية مع الله سواء في الصلاة أو الصوم أو السجود. فيؤكد القديس بولس الرسول الفرح بالحق عندما يقول:" إِذاً لِنُعَيِّدْ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ" (كو ٥ :١). فالعيد فرح بالحق.

٥. المحبة تحتمل كل شئ

من أعظم الأدلة على أن المحبة تحتمل كل شئ ما احتمله السيد المسيح ابن الله الوحيد من أجل محبته للبشر وهو لم يكن مجبراً بل وكان قادراً علي أن يحضر جيشاً من اثني عشر ألف ليدافع عنه، ولكننا نجده في محبته احتمل الصلب والمسامير والتعيير والبصق واللطم والإهانة والشوك.

من الأدلة العظمي أيضاً علي أن المحبة تحتمل كل شئ احتمال الله لخطايا البشر وتعدياتهم وعنادهم وظلمهم راغباً في رجوعهم وتوبتهم. ليتنا نتعلم من احتمال الله لنا بسبب محبته أن نحتمل الآخرين

ونحبهم. والذي يحتمل غيره بالطبع سوف يحتمله الله. ليتنا نحتملهم كما يحتملنا الله. ونحتملهم لكي يحتملنا الله. لأنه يقول:" لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (مت) ، (مر).

هناك دليل آخر علي المحبة التي تحتمل كل شئ آباؤنا الشهداء والمعترفين واحتمالهم لآلام وعذابات تفوق طاقة البشر ولولا محبتهم في المسيح لما استطاعوا أن يحتملوا. فآباؤنا النساك والمجاهدين سواء من الرهبان أو المتبتلين أو المتزوجين محبتهم للمسيح هي التي جعلتهم يحتملون كل شئ من جوع وعطش وعُري ولولا المحبة التي تحتمل كل شئ لما استطاعوا ذلك.

دليل طبيعي آخر يدل علي أن المحبة تحتمل كل شئ وهو الأم والأب الذين يحتملون متاعب الحياة ومشقتها من أجل محبة أبنائهم لكي يوفروا لهم سُبل العيش الكريم.

إن كانت المحبة قادرة علي ذلك فعلينا اللجوء إليها واقتناءها، على الأقل لكي نحتمل نقائص الآخرين وضعفاتهم تجاهنا. علينا بالمحبة في تحمل كل ظروف الحياة الصعبة وما يأتي علينا من يد الله سواء ضيقات أو أمراض، فالمحبة وحدها تستطيع أن تحتمل كل شئ. فالذي يحب شخصاً، يكون مستعداً أن يحتمل منه، وأن يحتمل من

أجله. فأبونا يعقوب أبو الآباء احتمل الكثير من أجل محبته لراحيل. ويقول الكتاب:" فَخَدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينٍ وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا" (تك٢٩).

🗁🗁. المحبة تصدق كل شئ.

تصدق كل شئ، أى تؤمن بكل شئ، وهذة الصفة تخص العلاقة بين الانسان والله. فالايمان يخص الله فهو الوحيد المضمون تصديقه في كل شئ بسبب محبته غير المحدودة لنا وبسبب محبتنا الكبيرة التي يجب أن نبادله بها.

نصدق الله في كل شئ بسبب محبتنا له، ومحبته لنا، فنؤمن ونصدق أولاً بوجوده في كل زمان ومكان. نصدق كلامه ومواعيده التى جاءت بالكتاب المقدس. نؤمن بمحبته لنا ورعايته لنا مهما مر علينا من محن وتجارب.

أما عن تصديقنا للآخرين فى كل شئ يكون فيما لا يتعارض مع الله وكتابه المقدس.

هذه الصفة في المحبة تدعونا علي الأقل لعدم التشكيك في الآخرين والتعامل مع الآخرين ببراءة وحسن نية. المحبة وإن كانت تصدق كل شئ إلا إنها تكشف الكذب وتفضحه وتوقف عمله حينما

تواجهه بايجابيتها المتفائلة. فالتعامل ببراءة وحسن نية ليس معناه عدم استخدامنا للحكمة والحرص ولكن هذا يكمل ذاك كما يقول الكتاب ينبغي أن نعمل هذا ولا نترك تلك.

🗎🗁. المحبة ترجو كل شيء.

المحبة ترجو كل شئ، أى أن لديها رجاء في الله وفي الآخرين وفي نفسها. نحن نثق في محبة الله فيكون لدينا رجاء من نحوه تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين فمهما تكون ضعفاتنا فلنا رجاء في الله ومحبته وقدرته في أنه سوف يتدخل وينزع عنا كل ضعف. لنا رجاء في الله المحب مهما تكن ضراوة التجارب والضيقات التى نمر بها أو يمر بها الآخرين.

المحبة تعطى لنا رجاء أيضاً في ملكوت السموات كما يقول الرسول بولس:" إِنْ كَانَ لَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ" (🗁كو🗎🗁 :١٥🗁). ويقول أيضاً:" مِنْ أَجْلِ الرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ لَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ الَّذِي سَمِعْتُمْ بِهِ قَبْلاً فِي كَلِمَةِ حَقِّ الإِنْجِيلِ" (كو 🗁 :🗎).كذلك يقول:" عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْكَذِبِ، قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (تي🗁 :🗎).وأيضاً:" مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (تي🗎 :🗎🗁) .

كما أن هناك آيات جميلة تحسنا علي الرجاء منها في العهد القديم:" لأَنَّ لِلشَّجَرَةِ رَجَاءً. إِنْ قُطِعَتْ تُخْلِفْ أَيْضاً وَلاَ تُعْدَمُ أَغْصَانُهَا" (اي :) .أيضاً "لأَنَّهُ مَنْ يُسْتَثْنَى؟ لِكُلِّ الأَحْيَاءِ يُوجَدُ رَجَاءٌ فَإِنَّ الْكَلْبَ الْحَيَّ خَيْرٌ مِنَ الأَسَدِ الْمَيِّتِ" (جا :). فالمحبة ترجو كل شئ لأنها متفائلة دائماً لا تفقد الأمل في الفتيلة المدخنة ولا فى مريض الثماني والثلاثين عاماً ولا في التي أنفقت كل معيشتها علي الأطباء ولا الميت الذي له في القبر أربعة أيام.

المحبة متسلحة برجاء حي لا يستنفده عدو الخير فى خبثه وضراوة حربه، ولا في غباوة الإنسان وضعف جسده. المحبة ترجو دائماً ما دام للرجاء باب مفتوح. ولنا مثال فى ذلك اللص اليمين الذي بقلبه المحب للسيد المسيح كان متمسكاً بالرجاء حتي وهو على الصليب فنجده يقول:" اذكرني يا رب متي جئت في ملكوتك". ورغم مرور حياته كلها وهو لص نجد السيد المسيح يقول له:" اليوم تكون معي في الفردوس". نعم في المحبة رجاء والرجاء لا يخزى. المحبة والإيمان مرتبطان إرتباطاً وثيقاً لأنني كيف أحب بمن لا أؤمن به فالرجاء وليد المحبة.

. المحبة تصبر على كل شيء.

صفة المحبة التي تصبر على كل شئ جاءت بعد صفة المحبة التي ترجو كل شئ. لأنه ليس هناك فضيلة تساعدنا علي الصبر أعظم من الرجاء. فالرجاء في الله يجعلنا نصبر على التجارب والضيقات عالمين أن الله سوف يتدخل وإن سمح باستمرار التجارب فلدينا رجاء ملكوت السموات. فآلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا. وأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدي. فالرجاء في الحياة الأبدية هو أكبر معين لنا على الصبر. فكل الضيقات والتجارب والآلام لا تساوي لُحيظة واحدة في ملكوت السموات.

الفصل العاشر

المحبة فى الأسرة

الأسرة في مفهومها العام هي كل البشر علي مختلف ثقافتهم وديانتهم وأماكنهم وألوانهم فنحن جميعاً من أب واحد وهو آدم بل من أب واحد وهو الله الذي خلقنا والذي قال عنه بولس الرسول في رسالته إلي أهل أفسس:" إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ" (اف4 :6).

علينا أن نعرف أننا جميعاً أسرة واحدة تظللنا سماء واحدة ونسير على أرض واحدة. فنحن مطالبون بأن نحب كل البشرية باختلاف أطيافها وألوانها فعلينا أن لا نتعصب لدولة ضد دولة أو لون ضد لون أو حتي دين ضد دين. نحن مطالبون بالحب للبشرية كلها متمثلين بالله الذي كُتب عنه:" لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو3 :16). وعندما أوصى السيد المسيح تلاميذه قبيل صعوده قال لهم "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (مر16 :15) ..

نحن مطالبون باظهار هذا الحب للعالم وكل الخليقة وذلك بالصلاة من أجل كل العالم حتي يصلهم الخلاص في المسيح يسوع. الصلاة من أجل المرضى والمساجين والمتضايقين. الصلاة لكي ينزع الله الحروب من العالم. من أجل هدوء وطمأنينة العالم. الصلاة من أجل الأماكن التى بها زلازل وبراكين وأعاصير وحرائق طبيعية.

الأسرة علي المستوى العام أيضاً هي المجتمع التى نعيش فيه سواء الدولة أو المحافظة أو المركز أو القرية أو حتى القارة. علينا أن نعرف أننا أسرة واحدة مشتركين في وطن واحد. علينا أن نحب بعضنا بعضاً، ونساعد بعضنا بعضاً، ونخدم بعضنا بعضاً. فيجب علينا أن نبعد عن أي تعصب أعمى سواء بسبب الدين أو المعتقد أو الطائفة، وأن نحب ونتكامل بالعطف على الفقراء والمساكين وخدمة الأيتام والمعوزين.

أما الأسرة في معناها الخاص فهي العائلة التي ننتمي إليها من أب وأم وإخوة وأقرباء. وهذا ما نركز عليه، مع توضيح مدى الحب الذي يجب أن يكون بين الزوج والزوجة ومدى الحب المتبادل بين الأبناء ووالديهم الذي يجب أن يسود محيط الأسرة.

الحب بين الزوجة والزوجة

إن أعظم حب تكلم عنه الكتاب المقدس بعد الحب بين الانسان والله هو الحب المتبادل بين الرجل وزوجته. فلا يوجد حب أعظم من أن يصير الإثنان واحداً فهذا هو الأساس الذي تأسس عليه سر الزيجة منذ بدء الخليقة وذلك على يد الله الذي قام بنفسه باتمام هذا السر لأول مرة حينما قال:" لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً"(تك2: 24). وقد أكد ذلك السيد المسيح عندما قال نفس العبارة في موضعين بالإنجيل هما (مت19 :5) ، (مر10 :7).

بل أن الله عندما خلق حواء لتكون زوجة له معيناً ونظيراً لم يخلقها بعيداً عنه بل خلقها من جنب الرجل بجوار قلبه لكي يحبها وهي تشتاق إليه لأنها مأخوذة منه. فالحب الزيجي بين الزوج والزوجة في المسيحية قائم علي عمل الروح القدس من خلال سر مقدس من أسرار الكنيسة السبعة التي تقوم عليها المسيحية فالروح القدس يسكب المحبة بين العروسين في هذا السر المقدس من خلال صلوات الكاهن بكنيسة الله المقدسة.

لقد أسهب القديس بولس الرسول في محبة الرجل لزوجته والزوجة لرجلها حتي أنه شبه محبة الرجل لزوجته بمحبة المسيح لكنيسته:" أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا"(اف5 :25). فعلى الرجل أن يحب أمرأته علي مستوى

حب المسيح للكنيسة. حب المسيح هو خلاص النفس. فيجب أن يكون أول كل شئ أن يبحث الرجل عن خلاص نفس زوجته. يجب أن يشجعها على الصلاة والصوم، والتناول من الأسرار المقدسة، وقراءة الكتاب المقدس. بل يجب عليه قبل كل شئ أن يكون هو قدوة في كل ذلك. لذلك أوضح الرسول بولس الرسول بأنه يجب أن يحب الرجل زوجته كما يحب جسده:" كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ" (اف5: 28). فشئ غريب جداً عن المسيحية أن نسمع عن رجل يقوم بضرب امرأته، لأن هذا يعنى أنه يعذب جسده أو يؤلمه. لذا وجب على الرجل أن يحب زوجته كما يحب جسده، وذلك بأن يوفر لها ما تحتاجه من مأكل ومشرب ومسكن كما يهتم بجسده تماماً. وقبل كل شئ يجب أن تكون زوجته قريبة منه كجسده يخاف عليها ويرعاها ويسترها كما يستر جسده. فلا يجرح مشاعرها ويحترم كيانها وآراءها وأفكارها.

ويؤكد القديس بولس الرسول الكلام السابق قائلاً:" وَأَمَّا أَنْتُمُ الأَفْرَادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هَكَذَا كَنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا"(اف5 :33). فنتيجة طبيعية من محبة الرجل لزوجته نرى الزوجة تهاب الرجل. ليس هناك شيئاً يكسبنا الاحترام والمهابة أكثر من المحبة.

محبة الرجال للزوجات كأجسادهم وكأنفسهم، بأن لا يقسو عليهن لا بالفعل أو بالقول:" أَيُّهَا الرِّجَالُ، احِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا قُسَاةً عَلَيْهِنَّ" (كو3: 19) .

من الأمثلة الجميلة لمحبة الرجال لزوجاتهم محبة اسحق لرفقة "فَأَدْخَلَهَا إِسْحَاقُ إِلَى خِبَاءِ سَارَةَ أُمِّهِ وَأَخَذَ رِفْقَةَ فَصَارَتْ لَهُ زَوْجَةً وَأَحَبَّهَا. فَتَعَزَّى إِسْحَاقُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ" (تك24 :67) .

كذلك محبة يعقوب لراحيل وَأَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ فَقَالَ: "أَخْدِمُكَ سَبْعَ سِنِينٍ بِرَاحِيلَ ابْنَتِكَ الصُّغْرَى" (تك29 :18). أيضاً محبة ألقانة لزوجته حنة أم صموئيل النبي:" وَأَمَّا حَنَّةُ فَأَعْطَاهَا نَصِيبَ اثْنَيْنِ، لأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ حَنَّةَ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ رَحِمَهَا" (1صم1 :5)، ومحبة أحشويروش الملك لاستير "فَأَحَبَّ الْمَلِكُ أَسْتِيرَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النِّسَاءِ وَوَجَدَتْ نِعْمَةً وَإِحْسَاناً قُدَّامَهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الْعَذَارَى فَوَضَعَ تَاجَ الْمُلْكِ عَلَى رَأْسِهَا وَمَلَّكَهَا مَكَانَ وَشْتِي" (اس2: 17).

بل أن السيد المسيح لتأكيد علاقة الحب التي يجب أن تسود الطرفين في سر الزواج، نجده قد حرم الطلاق. فكيف لإنسان يجب عليه أن يحب زوجته كجسده وكما يحب المسيح الكنيسة الذي أسلم نفسه لاجلها؟!. كيف لحب مثل هذا أن يُفرط فيمن يحبه بكل سهولة ولأي سبب؟!.

بل إن الله أراد لعلاقة الحب بين الرجل والمرأة أن تسود وتدوم لذلك ربط بينهما بالبنين ورغم أنهم يأخذون جزءاً من محبة والديهم إلا أنهم يكونون سبباً في زيادة الحب بين الوالدين أيضاً وكأن إنجاب البنين طاقة حب تدفق للوالدين وتستمر معهم ... وفي هذا شهدت ليئة "فَحَبِلَتْ لَيْئَةُ وَوَلَدَتِ ابْناًوَدَعَتِ اسْمَهُ رَأُوبَيْنَ لأَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ الرَّبَّ قَدْ نَظَرَ إِلَى مَذَلَّتِي. إِنَّهُ الْآنَ يُحِبُّنِي رَجُلِي" (تك29 :32).

من أجل كل ما سبق يجب علي كل الممارسات الزوجية أن تمارس في حب، قدسية تامة، وفى احترام متبادل.

كما أن الكتاب المقدس لم يقتصر الحب علي الزوج فقط بل نجده ينصح الزوجات أيضاً بأن يكن:" لِكَيْ يَنْصَحْنَ الْحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ أَوْلاَدَهُنَّ" (تي2 :4). فالكتاب المقدس لم يكثر الكلام عن محبة الزوجات لأنه من الطبيعى أن تحب زوجها وأبنائها .لأن هذا هو ما خلقها الله عليه. أنها غريزة جميلة في المرأة بأن تشتاق لزوجها وتحب أولادها. حتى بعد السقوط لم يمنع الله علاقة الحب هذه بل خاطب كل الزوجات في كل العصور في شكل أمنا حواء:" وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" (تك3 :16) .

الحب المتبادل بين الأولاد ووالديهم.

الحب المتبادل بين الوالدين وأبنائهم ليس في حاجة إلي كلام كثير لأنه مفهوم بالفطرة وبالغريزة. أنه حب زرعه الله داخلنا منذ خلقتنا. ولكن ما مظاهر هذا الحب المتبادل بين الآباء وآبنائهم؟. بمعنٍ آخر ما هى علامات الحب المسيحية الحقيقية التي يجب أن تسود هذا الحب الأسرى؟.

يمكننا أن نلخص علامات هذا الحب على النحو التالى:

أ -الرعاية الدينية

من أول أولويات الحب بالنسبة للآباء تجاه أبنائهم هي الرعاية الدينية منذ بداية المعمودية المقدسة، والمواظبة على ممارسة سر التناول المقدس وهم في سن الطفولة، مروراً بتعوديهم علي قراءة الكتاب المقدس والصلاة في البيت وذلك بالقدوة أولاً ثم بالتعليم ثانياً.

ب -الرعاية الجسدية

علي الآباء أيضاً رعاية أبنائهم جسدياً كالمأكل والملبس. يجئ تحت الاهتمام الجسدي تعليمهم النظافة والطهارة والقداسة.

ت -الرعاية النفسية

فى ذلك نسمع الكتاب المقدس ينصح الآباء قائلاً:" وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ" (اف6 :4)، "أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا اوْلاَدَكُمْ لِئَلاَّ يَفْشَلُوا" (كو3 :21). فعدم الإغاظة هي الرعاية النفسية. يجب علي الآباء أن يثقفوا أنفسهم فى فترات الشباب والخطوبة وبداية الزواج علي كتب علم النفس وكيفية التعامل مع الأبناء في كل مراحل حياتهم في سن الطفولة والشباب والمراهقة.

ويجب ملاحظة أن التأديب الذى يقصده الكتاب المقدس هو أن نجعل أبناءنا مؤدبين وذلك من خلال القدوة ومن خلال الحب ومن خلال الرب. علينا تعليمهم الذهاب إلي الكنيسة وتعليمهم السلوك المسيحي. ويكون هناك بعض الحزم المخلوط بالحب.

إن أهم جانب في الرعاية النفسية هو مفهوم الحوار. يجب علينا أن نصادق آبناءنا. لا نكون بعيدين عنهم ولا نصنع فجوة بيننا وبينهم. بل نتقرب منهم نشركهم معنا في الأمور المنزلية ولو بالرأى. نتحاور معهم حول المشاكل التي يمكن أن يواجهونها في مراحل العمر المختلفة وكيفية التغلب عليها.

الرعاية النفسية تتضمن أيضاً عدم التفرقة بين الأبناء لأي سبب بل علينا زرع الحب والتوافق بين الأبناء وليس كما فعل أبونا يعقوب إذ قيل عنه:" وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ

شَيْخُوخَتِهِ فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصاً مُلَوَّناً"(تك37 :3). وقد تسبب ذلك في كارثة لولا محبة الله التي دائماً تقبل توبتنا ورجوعنا عن أخطائنا.

لذا يجب علي الآباء عدم التمييز بين الأبناء نهائياً سواء بين الولد والبنت أو بين الكبير والصغير أو بين الذكي والأقل ذكاء. يجب أن يراعي الآباء الحالة النفسية لأبنائهم

نسمع أيضاً عن هذه التفرقة في الحب بين الأبناء فيما حدث بين إسحق ورفقة مع عيسو ويعقوب حيث يشهد الكتاب "فَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُوَ لأَنَّ فِي فَمِهِ صَيْداً وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَانَتْ تُحِبُّ يَعْقُوبَ"(تك25 :28). وسبب هذه التفرقة في الحب أدت إلي هروب يعقوب وحرمان والديه منه وحرمانه هو منهم.

من الأشياء الغريبة التى نسمع عنها علاقة عدم الحب بين الكنة وحماتها وهذا لم يكن موجود نهائياً منذ بداية الخليقة وخير مثال لنا راعوث وحماتها نُعمي حيث يشهد الكتاب المقدس:" وَيَكُونُ لَكِ لإِرْجَاعِ نَفْسٍ وَإِعَالَةِ شَيْبَتِكِ. لأَنَّ كَنَّتَكِ الَّتِي أَحَبَّتْكِ قَدْ وَلَدَتْهُ، وَهِيَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ سَبْعَةِ بَنِينَ" (را 4 :15). وكيف أن راعوث هذه في سبيل محبتها لحماته قد تركت أهلها وعبادتها وذهبت معها إلى أرض لا تعرفها.

كذلك أهل سوسنة التى تزوجت بطوبيا نجدهم ينصحونها بالتالى:" اوصياها ان تكرم حمويها و تحب بعلها و تدبر عيالها و تسوس بيتها و تحفظ نفسها غير ملومة" (طوبيا10 :1) .

الحب والصداقة

من أمثلة المحبة العظيمة بين الأصدقاء المحبة العميقة بين داود ويوناثان هذه التي شهد لها الكتاب المقدس "وَكَانَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ شَاوُلَ أَنَّ نَفْسَ يُونَاثَانَ تَعَلَّقَتْ بِنَفْسِ دَاوُدَ، وَأَحَبَّهُ يُونَاثَانُ كَنَفْسِهِ" (1صم 18 :1). ويقول أيضاً:" وَقَطَعَ يُونَاثَانُ وَدَاوُدُ عَهْداً لأَنَّهُ أَحَبَّهُ كَنَفْسِهِ" (1صم18 :3). وفي رثاء داود ليوناثان نجده يشهد قائلاً "قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانُ. كُنْتَ حُلْواً لِي جِدّاً. مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ" (2صم1 :26).

❖ أنواع ضارة من المحبة

هناك الكثير من أنواع المحبة الضارة التي تكلم عنها الكتاب المقدس فهى حقيقة لا يصح لنا أن يطلق عليها كلمة "محبة"، لأنه حيث توجد المحبة الحقيقية لا يوجد شيئاً ضاراً، ومحبة مزيفة، أو قد تكون شهوة. من هذه الأنواع علي سبيل المثال لا الحصر:

محبة العالم

يقول الكتاب المقدس:"أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبّاً لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُّواً لِلَّهِ" (يع4 :4)، كما يقول أيضاً "لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ"(1يو2 :15). وقد ركز القديس يوحنا الحبيب في رسالته الأولى على العالم الشرير ومعناه فنسمعه يقول:" لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ" (1يو2 : 16). ويقول أيضاً "وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ" (1يو2 :17)، وأيضاً يقول "نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ اللهِ، وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ" (1يو5 :19).

من الشواهد السابقة يتبين أن المقصود بالعالم هى شهوات العالم وأركانه الشريرة كما يقول القديس بولس الرسول:" هَكَذَا نَحْنُ أَيْضاً: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ"(غل4 :3). كما يقول:" الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا" (غل1 :4) .

ليس المقصود بالعالم هنا لا البشر ولا الكائنات ولا أي شئ من صُنع الله. ولكن المقصود بالعالم شهوات العالم وأركانه الشريرة التي هي من صُنع الشيطان والبشر بعد السقوط. فنحن البشر مطالبون أن لا نحبها فقط بل أن نبتعد عنها ونكرهها أيضاً. لأن محبتها عداوة لله كلى الحب. فمن محبة الله ينصحنا أن لا نكون محبين للعالم، تلك المحبة التي هي عداوة له والتي تفصل البشر عن محبته في هذا العالم وكذلك في الأبدية.

ليتنا نكره شهوات العالم التى تفصلنا عن محبة الله وتجعل منا أعداء لله، فنكره كل الأفعال والأفكار والكلمات الشريرة من زنيٍ وقتل وسرقة،...الخ، وأن نكون أنقياء، فأنقياء القلب فقط هم الذين يحبون الله والله يحبهم:" طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت5 :8). فمن أمثلة الذين أحبوا العالم ديماس الذي قال عنه الرسول بولس "لأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي اذْ احَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ وَذَهَبَ الَى

تَسَالُونِيكِي، وَكِرِيسْكِيسَ الَى غَلاَطِيَّةَ، وَتِيطُسَ الَى دَلْمَاطِيَّةَ" (2تي4 :10).

محبة المال

يجب أن نفرق بين شيئين المال ومحبة المال. فالمال ليس شراً في حد ذاته لأن من خلاله يمكننا اللازمه لحياتنا الروحية فعل أعمال الخير والعطاء والصدقة. لكن محبة المال قال عنها الكتاب المقدس:" لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ اصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي اذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا انْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ" (1تي6 :10). كما أن الكتاب المقدس ينصحنا ويوصينا قائلاً على لسان بولس الرسول:" لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لأَنَّهُ قَالَ: «لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ» "(عب13 :5) .

وقد نصح القديس بولس تلميذه الأسقف تيموثاوس أن لا يكون محب للمال "غَيْرَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ، وَلاَ ضَرَّابٍ، وَلاَ طَامِعٍ بِالرِّبْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ حَلِيماً، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلاَ مُحِبٍّ لِلْمَالِ" (1تي3 :3).

كما أن السيد المسيح يعلمنا بفمه الطاهر:«مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!»(مر10 :23) ، (لو18 :24). كما يقول في موضع آخر "وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ لأَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمْ عَزَاءَكُمْ" (لو6 :24).

لقد فسرها السيد المسيح بعد ذلك:" فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ. فَقَالَ يَسُوعُ أَيْضاً: «يَا بَنِيَّ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!" (مر10 :24). فالمشكلة ليست في المال بل في الإتكال عليه ومحبته فيما يجب أن نتكل على الله ونحبه وحده لذا قال السيد المسيح:" لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ" (مت6 :24) ، (لو16 :13).

فى هذا المجال نجد الشاب الغني الذى قيل عنه أن السيد المسيح أحبه لحفظه الوصايا منذ حداثته، ولكن منعه حبته للمال وغناه من تبعية السيد المسيح. كذلك الفريسيون أيضاً كانت محبتهم للمال سبباً في عدم تقبل تعاليم السيد المسيح فقد كتب عنهم:" وَكَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضاً يَسْمَعُونَ هَذَا كُلَّهُ وَهُمْ مُحِبُّونَ لِلْمَالِ فَاسْتَهْزَأُوا بِهِ "(لو16 :14).

إذن كيف نتعامل مع المال إذا وجدناه أوكنا نملكه؟!

لنسمع إجابة السيد المسيح:" وَأَنَا أَقُولُ لَكُمُ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ... فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟" (لو16: 9 – 11) . ومن أمثلة محبي المال وسوء استخدامه الإبن الأصغر فى مثل الإبن الضال حيث طلب نصيبه من المال وبذره بعيش مصرف.

ويضع الوحى الإلهى على فم القديس بولس محبة المال من الخطايا التي سوف تسيطر علي الناس في آخر الآزمنة:" لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنِسِينَ" (2تي3 :2). كذلك القديس بطرس الرسول يحذرنا من محبة المال أسوة بما حدث مع بلعام بن بعور الذي أحب أجرة الإثم:" قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَضَلُّوا تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أُجْرَةَ الإِثْمِ" (2بط2 :15).

محبة الذات (الأنانية)

محبة الذات أو محبة النفس يمكن أن تكون بطريقة سليمة وذلك لو وجهنا محبة الذات نحو ما ينفعها لا نحو ما يضرها. فأول شئ يجب أن نحب به ذواتنا هو أن نساعد أنفسنا للوصول إلى الملكوت حيث البر والفرح والسلام هنا علي الأرض وفي الأبدية. كذلك يجب علينا أن نبتعد عن كل ما يسبب أي ألم للنفس وخاصة الخطية التي تبعد السلام عن النفس وتتسبب في أمراض كثيرة لنفوسنا كما لأرواحنا وربما لأجسادنا.

يجب أن نفيد ذواتنا بأن نزرع سلام مع الآخرين وننفتح عليهم ونحبهم ونعمل الخير ونستعمل الكلام الطيب مع الجميع. فالسيد

المسيح ينصحنا قائلاً:" فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا" (مت16 :25) ، (مر8 :35) ، (لو9 :24). السيد المسيح لا يقصد الهلاك هنا بالمعني الحرفي أو المادي لأن " النفس" ليس شيئاً مادياً فالكلمة القبطية واليونانية "ⲯⲩⲭⲏ" تعطي معني الروح أيضاً. فالسيد المسيح يقصد بأنه يجب أن لا ندلل أنفسنا بل ندربها علي الصوم والنسك تلك الأشياء التى تسمو بالنفس وتساعد على خلاصها وليس علي هلاكها.

المحبة الخاطئة للنفس تبدأ بالأنانية والطمع ومحبة الإمتلاك، ثم بالتقوقع حول الذات والعظمة والكبرياء. والقديس بولس الرسول يتكلم عن تلك المحبة الخاطئة كبداية ومسبب لكل الخطايا الأخرى فنجده يقول عن الناس في آخر الآزمنة:" لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنِسِينَ"(2تي3 :2). وفى موضع آخر يقول:" خَائِنِينَ، مُقْتَحِمِينَ، مُتَصَلِّفِينَ، مُحِبِّينَ لِلَّذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةٍ لِلَّهِ" (2تي3 :4). فمحبة النفس بطريقة خاطئة تولد فينا الطمع ومحبة المال والكبرياء والتجديف وعدم الطاعة وعدم الشكر بل والدنس.

كما يندرج تحت محبة النفس أو الذات محبة المديح وخير مظهر لها هم الكتبة والفريسيون الذين أعطاهم السيد المسيح الويل قائلاً:" وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ وَالتَّحِيَّاتِ

فِي الأَسْوَاقِ" (لو11 :43). لذلك نرى السيد المسيح يحذر من محبة المديح هذه قائلاً:" وَيْلٌ لَكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَناً. لأَنَّهُ هَكَذَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ بِالأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ" (لو6 :26).

كذلك وبخ السيد المسيح اليهود الذين لم يؤمنوا به، ويوضح سبب ذلك في قوله:" لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللَّهِ" (يو12 :43). فى المقابل نجد الرب يقول عن القديسين فى سفرالرؤيا:" وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْحَمَلِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ" (رؤ12 :11).

المحبة الشهوانية

توجد شعرة بسيطة بين الحب المسيحي وبين الحب الشهوانى يجب التفرقة بينهما. فالحب المسيحي ينفتح على كل الناس ويحبهم جميعاً، أما الحب الشهواني فهو يتقوقع حول شخص واحد والحق نقول هو متقوقع فقط حول الأنا أو الذات.

الحب المسيحي دائماً يعطي دون أن ينتظر المقابل. عكس ذلك الحب الشهواني الذي يريد أن يأخذ، وأن يمتلك دون أن يعطي. وعندما يشعر الشخص (المحب شهوانياً) بعدم محبة الطرف الآخر له، ينقلب على النقيض تماماً، عكس الحب المسيحى الذي يظل دائماً أبداً موجوداً لا يتأثر بالعوامل الخارجية.

إن غريزة الحب موجودة وموضوعة منذ خلقتنا، ولدنا بها، ونعيشها بالفطرة. فمن الطبيعي جداً أن نحب فى أى سن دون أن يكون هناك خطية أو تفكير في الشر. لذا يجب على مجتماعتنا الشرقية أن تهتم بالنصح والإرشاد من خلال كافة المؤسسات، الكنائس، والمدارس، والأسرة، وياحبذا لو كانت هناك مناهج لتعميق مفاهيم الحب وكيفية توجيهها في إتجاه الخير والحب للجميع، لذا يجب علينا توجيه هذا الحب في مساره الصحيح.

يجب أن نعرف أن الإنسان يحب ويعجب بالطرف الآخر سواء كان ذكراً أو أنثى، ربما يحب جماله أو ذكائه أو قوته. لذا يجب علينا ككنيسة وأسرة أن نقوم بالنصح وعدم الخجل في توجيه تلك لمشاعر في مسارها الطبيعي حتي لا تنحرف. يجب أن نوجه طاقات الحب هذه في إتجاه الخير وفعل الصلاح والخير للجميع ودون التقوقع حول شخصية واحدة. يجب أن نوجه طاقات الحب هذه إتجاه الله كلي الحب ومن خلاله وفيه نحب الكل دون تفرقة وخاصة فى سن الطفولة والشباب.

ونصيحتى لكل شاب وشابة، وفتى وفتاة بأنه يجب أن لا يكون بداخله أسرار يخجل أن يبوح بها لوالديه أو لآباء الإعتراف أو للمرشدين، فنحن ما زلنا في دور التعلم، يجب أن نعترف أن الكبار أكثر منا خبرة. ونصيحتي لهم أيضاً أن يتقربوا أكثر من الحب

الحقيقي الذي هو الرب يسوع ويبادلونه الحب وسوف لا يحتاجون بعد ذلك لأى حب خارجي بل سوف ينشرون حب الرب يسوع للجميع.

كما أن نصيحتى أيضاً للكبار من الوالدين، وآباء الاعتراف، والمرشدين الروحيين، يجب أن تنفتحوا أكثر علي أبنائكم . يجب أيضاً أن تقتنعوا بمبدأ الحوار، وأن تسمعوا أولادكم ولا تفرضوا عليهم شيئاً، بل أستخدموا أسلوب الأقناع. يجب عليكم أن تصادقوا وتصاحبوا أولادكم بدلاً من أن يختاروا أصدقاءهم بعيداً عن دائرة الكنيسة والمجتمع الملتزم. يجب أن تُظهروا لأولادكم عاطفة الحب بدلاً من أن يبحث عنها خارجاً، أعطوا أولادكم ذاتهم التي يريدونها بأن تجعلوا منهم أعضاء نافعة في البيت فى الكنيسة وفى المجتمع.

ما يجعل ذلك الحب الفطرى ينقلب إلى حب شهوانى هى الذات أو الأنا. فتملك طرف للطرف الآخر هو ما ينحرف بالحب إلى طريق وعرة. فليس العيب في الحب الفطرى بل العيب في الشهوة والأنا والذات التي تنحرف بذلك الحب. فليس من العيب أن نحب ونعجب بأى شخص في أي فترة من فترات حياتنا لأنه يجب ذلك فالإنسان يعيش بالحب، ولكن يجب أن نفهم ذلك الحب الفهم الحقيقى يجب أن نستشير من هم أكبر منا ومرشدينا وآباء اعترافنا حتي نفهم ماهية الحب الحقيقي وكيفية توجيهه. والحق أقول إن الإنسان الذي له علاقة قوية بالله من خلال الصلاة وقراءة الكتاب المقدس والتناول من

الأسرار المحيية سوف يعرف تماماً كيف يوجه الحب توجهاً سليماً ولا يمكن أن ينحرف به. ويؤسفني أن أقول أن كل من يعاني من هذا الحب المرضى وخاصة في فترات ما قبل سن الخطوبة والزواج هم الذين لم يتذوقوا حلاوة السيد المسيح كلى الحب ولم يشبعوا منه.

إن كنا نريد حلاً لمشكلة الحب المرضى هذا علينا بتوجيه طاقات الحب في أبنائنا تجاه الله كلي الحب ومن حبه سوف يحبون الكل دون تمييز أو تفرقة. ولنا من الأمثلة الكثير من ذلك الحب الشهواني الذي تسبب في نتائج بشعة مثلما حدث مع أمنون واشتهى اخته ثامار باسم الحب وبعد أن أذلها نجده يكرهها بكمية أكبر مما كان يحبها. ففى بداية القصة يقول الكتاب:" وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لأَبْشَالُومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتٌ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا ثَامَارُ، فَأَحَبَّهَا أَمْنُونُ بْنُ دَاوُدَ" (2صم13 :1). ومرض بسبب هذا الحب فجاء أحد أصدقائه يقول له:" فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ أَنْتَ ضَعِيفٌ هَكَذَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَى صَبَاحٍ؟ أَمَا تُخْبِرُنِي؟» فَقَالَ لَهُ أَمْنُونُ: «إِنِّي أُحِبُّ ثَامَارَ أُخْتَ أَبْشَالُومَ أَخِي»"(2صم13 :4). فيقول الكتاب بعد أن أذل أمنون ثامار:" ثُمَّ أَبْغَضَهَا أَمْنُونُ بُغْضَةً شَدِيدَةً جِدّاً حَتَّى إِنَّ الْبُغْضَةَ الَّتِي أَبْغَضَهَا إِيَّاهَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّهَا إِيَّاهَا. وَقَالَ لَهَا أَمْنُونُ: «قُومِي انْطَلِقِي!»(2صم13 :15) .

إن مثل هذا الحب لا ينتمي للفظ الحب بالمرة، فالحب مستمر والحب لا يصنع شراً بمن نحب والحب له أصوله وأوقاته المناسبة. كذلك شمشون أيضاً نتيجة لهذا الحب الشهواني قد خلع الأعداء عينيه وسخروه وسخروا منه، فقد كُتب عنه:" وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَحَبَّ امْرَأَةً فِي وَادِي سَوْرَقَ اسْمُهَا دَلِيلَةُ" (قض16 :4).

حب شمشون يوضح الخطورة التى يمكن أن تلحق بشبابنا وشباتنا الذى يمكن للشيطان باسم الحب أن يخدعهم وتكون النتيجة استهزاؤه بهم وسيطرته عليهم وقلع أعينهم الروحية وابتعادهم عن السيد المسيح مصدر الحب.

مثال آخر سبق شمشون وسبق أمنون، وذلك في قصة دينة ابنة يعقوب وقد أحبها شكيم بن حمور وقد كتب عنه سفر التكوين "وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ وَأَحَبَّ الْفَتَاةَ وَلاَطَفَهَا" (تك34 :3). وماذا كانت نتيجة ذلك الذي نسميه ظلما "حباً" ؟! قد دفعت مدينة شكيم بأكملها ثمن ذلك الحب المزيف. يجب أن نضبط عواطفنا من البداية ولا نجعلها تسوقنا بل علينا أن نملك حرية وقوة الإرادة. وإن لم نكن نملكها فعلينا الإلتجاء إلى الله القادر على كل شئ وإلى وكلائه ومرشدينا وأولياء أمورنا لنأخذ النصح والإرشاد من البداية وليس بعد أن نذهب بعيداً.

فى سفر التكوين نسمع عن امرأة فوطيفار وما فعلته مع يوسف، هل كان حباً منها ؟! السؤال بطريقة أخرى من كان يحب من؟! امرأة فوطيفار تلك التى من أجل شهوتها أدخلت يوسف السجن واتهمته بالكذب. أم يوسف الذي حافظ عليها من نفسها ولم يدافع عن نفسه متهماً إياها، حتي عندما ارتفع علي مصر لم نسمع أنه انتقم منها.

ليتنا نتمثل بيوسف الصديق هذا الذي كان يحب فعلاً ليس هذا الحب الشهواني الذى لا يدوم بل ذلك الحب الدائم الذى يشعر دائماً بحضور من يحب فيخجل من أن يخطئ إليه:" لَيْسَ هُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئاًغَيْرَكِ لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟" (تك39 :9). كذلك داود النبي العظيم نتيجة لتلك الشهوة وقع فى خطية الزنا كما فى خطية القتل، كما فى خطية الخيانة واستحق عقاب الله لولا إتضاعه وتوبته ودموعه. كذلك سليمان أيضاً، ذلك الملك الحكيم قال عنه الكتاب في بداية ملكه:" وَأَحَبَّ سُلَيْمَانُ الرَّبَّ سَائِرًافِي فَرَائِضِ دَاوُدَ أَبِيهِ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يَذْبَحُ وَيُوقِدُ فِي الْمُرْتَفَعَاتِ"(1مل3 :3). لكن ماذا حدث بعد ذلك ؟! يقول الكتاب:" وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصَيْدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ... مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ. فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهَؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ" (1مل11 :1– 2). فماذا فعلت به تلك التي تُسمي

زوراً باسم الحب ؟! يقول الكتاب "أَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ أَخْطَأَ سُلَيْمَانُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَكُنْ فِي الأُمَمِ الْكَثِيرَةِ مَلِكٌ مِثْلُهُ وَكَانَ مَحْبُوباً إِلَى إِلَهِهِ فَجَعَلَهُ اللَّهُ مَلِكاً علَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. هُوَ أَيْضاً جَعَلَتْهُ النِّسَاءُ الأَجْنَبِيَّاتُ يُخْطِئُ" (نح13 :26).

إن تلك المحبة المزيفة جعلت من سليمان الملك الذى كان حكيماً يفقد حكمته ويعبد آلهة زوجاته ويُخطئ إلي الرب إلهه، ولولا رحمة الله ومحبته لما استطاع سليمان أن يرجع ويتوب ويعرف أن باطل الأباطيل الكل باطل. وقد تكلم كثيراً سليمان الحكيم عن المرأة الأجنبية ووجوب الابتعاد عنها فنجده يقول في أسفاره الشعرية:" لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلاًوَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيْتِ، لَكِنَّ عَاقِبَتَهَا مُرَّةٌ كَالأَفْسَنْتِينِ. حَادَّةٌ كَسَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ" (ام5 :3،4). لكني أود أن أقول لكل شاب أو شابة واقع تحت ثقل هذا الحب الشهواني مهما كان الموقف صعب أو خطير أو مستحيل. أود أن أقول أنه ليس هناك مستحيل عندما يوجد من يحبنا وهو الرب يسوع.

كل المشكلة هو أن العاطفة عند البعض بكمية أكبر فبدلاً من استغلالها استغلالاً سليماً نجدها انحرفاً بها، ربما بسبب البعد عن مصدر الحب الحقيقي وهو السيد المسيح. فبعدنا عن بيته(الكنيسة)، بعدنا عن صوته في الكتاب المقدس، والتحدث معه من خلال الصلاة. لذا بحثنا عن الحب فى أماكن أخري كما قال النبي إرميا

على لسان الرب الإله:" لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ آبَاراً آبَاراً مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً" (ار2 :13).

المحبة المفرطة

من المعروف أن أي شئ إن زاد عن حده إنقلب لضده كما يقول الكتاب المقدس كمثال "لاَ تَكُنْ بَارّاً كَثِيراً وَلاَ تَكُنْ حَكِيماً بِزِيَادَةٍ. لِمَاذَا تَخْرِبُ نَفْسَكَ؟"(جا7 :16). والأمثلة علي ذلك كثيرة أم تحب إبنها أكثر من الواجب فنجدها تدلله بزيادة فتضره، مثال أب يحب أولاده فيغدق عليهم المال بلا حساب فيكون السبب فى فسادهم. أسرة تحب أولادها فتحرمهم من الصوم خوفاً من ضعفهم فينمو الأولاد لا يحبون الصوم أو الكنيسة. مثال أب يخاف علي إبنه من أن يسلك في الرهبنة لكي لا يبعد عنه، فيبعده من البداية عن الكنيسة.

كل هذه الأنواع من المحبة المفرطة محبة ضارة لأنها لا تفيد من نحبهم بل تضرهم. لذا نجد السيد المسيح يقول بفمه الطاهر:" مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي"(مت10 :37). بالطبع السيد المسيح لا يرفض المحبة المتبادلة في الأسرة ولكنه يرفض المحبة المفرطة التى تزيد علي محبة الله فتضر من نحبهم بدلاً من أن تفيدهم.

إن المحبة الحقيقية التى يجب أن تكون لدينا هى المحبة من خلال الله وتكون هدفها توصيل من نحبهم إلى الله مصدر الحب. فالأب والأم، والأسرة كلها إن كانت تحب أبناءها فلتحبهم محبة حقيقية لتنشئهم وتربيهم على محبة الله ومحبة بيته، الكنيسة، ومحبة كلامه بالكتاب المقدس، ومحبة أي ممارسات روحية يمكنها أن توصل إلينا محبة الله مثل الصلاة والصوم. ويكون ذلك بالقدوة قبل أن يكون بالتعليم.

يجب أن نغرس من نحبهم منذ صغرهم فى الكنيسة ونعلمهم الألحان والتسبحة ونسعى فى سيامتهم ضمن قطيع الشماسية لكى يكونوا غروس جدد في بيت الله. نعلمهم الإعتراف والتناول وأسرار الكنيسة التى هي أمهم. فكما قال أحد القديسين:"من لم تكن الكنيسة أمه فلا يكون الله أبيه".

أنواع أخرى من المحبة الضارة

من الأنواع الأخرى من المحبة الضارة ما قاله السيد المسيح عن الكتبة والفريسيين "وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!" (مت6 :5) . ويقول أيضاً:" وَيُحِبُّونَ الْمُتَّكَأَ الأَوَّلَ فِي الْوَلاَئِمِ وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ"

(مت23 :6). ويؤكد الرب يسوع أيضاً:" وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ" (لو11 :43) ، (لو20: 46).

إن هولاء قال عنهم السيد المسيح:" لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللَّهِ"(يو12 :43). لذلك نجد من أنواع المحبة الضارة محبة الأولوية مثل ديوتريفس الذى قال عنه بولس الرسول:" كَتَبْتُ إِلَى الْكَنِيسَةِ، وَلَكِنَّ دِيُوتْرِيفِسَ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الأَوَّلَ بَيْنَهُمْ لاَ يَقْبَلُنَا" (3يو1 :9).

من أنواع المحبة الضارة محبة الخصام التى قال عنها بولس الرسول:" وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخِصَامَ فَلَيْسَ لَنَا نَحْنُ عَادَةٌ مِثْلُ هَذِهِ وَلاَ لِكَنَائِسِ اللهِ"(1كو11 :16).

عزيزى القارىء: هناك عدة أمور منها ما قد يعطل النمو فى المحبة بين الإنسان والله، والإنسان وأخيه الإنسان. من هذه المعطلات تأخذ على سبيل المثال: الخطية – المشغولية – الذاتية . فالخطية يقول عنها الكتاب المقدس:" وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ" (مت24 :12). كما يقول أيضاً:" وَهَذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً" (يو3 :19). فبينما نجد أن الخطية تعوق المحبة، نجد أن التوبة تنميها وتزيدها.

i